

من القرآن الكريم

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

تقديم

معهد تراث الأنبياء عليهم السلام

للدراسات الحوزوية الإلكترونية



هوية الكتاب

اسم الكتاب:................. نُقْطَةٌ وَهَدَفٌ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ

المؤلف: .... الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

إصدار:.. معهد تراث الأنبياء عليهم السلام التابع للعتبة العباسية المقدسة

رقم الإصدار: ٢٠

تاريخ الطبعة: .... ٢٠٢٠ ميلادي - ١٤٤١ هجري

التصميم والاخراج الفني: .... المحسن لخدمات التصميم

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

العراق- النجف الأشرف



الإهداء

إلىٰ الغريب الذي تأنس النفوس بحضرته.

إلىٰ باب الله تعالىٰ الذي منه يؤتىٰ...

فتُقضىٰ الحوائج المتعسرة.

إلىٰ من رضي بحكم الله تعالىٰ...

فأعطاه الله تعالىٰ الرضا.

إليك يا مولاي يا أبا الحسن.

أيها الإمام الرضا عليه السلام.

من عبد مشتاق لثرىٰ روضتك.

اقبله يا مولاي، فأنت كريم...



المقدمة

عَـيْنٌ نَابِعَـةٌ صَافِيَـةٌ، لَاْ يَنْضُـبُ مَاْؤُهَـاْ، وَغَيْـثٌ فَيَّـاْضٌ يَنْتَظِـرُ جُـوْدَهُ كُلُّ مِـنْ يَتَعَطَّـشُ لِلْحَيَـاْةِ، وَشَـجَرَةٌ فَيْحَـاْءُ يَسْـتَظِلُّ بِفَيْئِهَـاْ كُلُّ مَـنْ أَنْهَكَتْـهُ الدُّنْيَـاْ، وَمَنْهَـلُ مَعْرِفَـةٍ لابـد مِنْـهُ لِـكُلِّ طَاْلِـبِ عِلْـمٍ.

ذَاْكَ هُوَ **القُرْآنُ الكَرِيْمُ**.

سُبْحَاْنَكَ رَبِّي!

أَعْجَـبُ عِنْدَمَـاْ أَسْـمَعُ أَنَّ لَـهُ سَـبْعِيْنَ بَطْنَـاً، فَأَنَّـىٰ لَنَـاْ أَنْ نُـدْرِكَ عُمْقَهَـاْ وَنَحْـنُ عِنْـدَ ظَاْهِـرِهِ غَرِقْنَـاْ بِمَعَـاْرِف لَاْ مُتَنَاْهِيَـةَ!

هِيَ بَيْنَ يَدَيْكَ...

اسْـتِفَادَاتٌ مِـنْ شَـاْطِئِ ظَاْهِـرِ آيَاْتِـهِ، وَلِأَمْثَـاْلِي العُـذْرُ عِـنْ عَـدَمِ سَـبْرِ عُمْقِـهِ، فَلِذَلِـكَ أَهْلُـهُ وَمَحَلُّـه وَمَعْدِنُـهُ.



مقدمة المعهد

معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية، معهد تابع للعتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية، وله العديد من النشاطات، يتبين بعضها بالتالي:

أوَّلاً: أنَّ المعهد مؤسَّسة علمية حوزوية تُدرِّس المناهج الدِّينية المعَدَّة لطُلّاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف، علماً أن الدراسة فيه عن طريق الانترنيت.

ثانياً: أنَّ المعهد يساهم في نشر وترويج المعارف الإسلاميَّة وعلوم آل البيت عليهم السلام ووصولها إلىٰ أوسع شريحة ممكنة من المجتمع، وذلك من خلال توفير المواقع والتطبيقات الإلكترونية التي يقوم بإنتاجها كادر متخصِّص من المبرمجين والمصمِّمين في مجال برمجة وتصميم المواقع الإلكترونية والتطبيقات علىٰ أجهزة الحاسوب والهواتف الذكيَّة.



ثالثاً: المعهد لم يُهمِل الجانب الإعلامي، حيث بادر إلىٰ إنشاء مركز القمر للإعلام الرقمي، الذي يعمل علىٰ تقوية المحتوىٰ الإيجابي علىٰ شبكة الانترنيت ووسائل الإعلام الاجتماعي.

رابعاً: يقوم المعهد بطباعة ونشر الإنتاج الفكري والعلمي لطلبة العلم، بعد عرضها على لجنة علمية متخصصة بتقييم الكتب، ضمن سلسلة من الإصدارات تهدف إلىٰ ترسيخ العقيدة والفكر والأخلاق، بأُسلوب بعيد عن التعقيد، يستقي معلوماته من مدرسة أهل البيت عليهم السلام الموروثة.

وبين يديك عزيزي القارئ، كتاب: **نقطة وهدف من القرآن الكريم**، الذي عمد فيه مؤلِّفه لاستقاء المعارف من آيات الذكر الحكيم، بأسلوب مختصر ومنقّط.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل عملنا في عينه، وأن يتقبَّله بقبوله الحسن، إنَّه سميع مجيب.

إدارة المعهد



١ مَنْفَذٌ غَيْبِيٌّ

المدارس، والمعاهد العلمية، منافذ طبيعية لاكتساب العلوم.

الأخذ من الأساتذة والمعلّمين، بالاستماع إليهم، وكتابة العلم عنهم، وسيلة عادية لزيادة المعارف.

الحبو والتدرج في التعلّم، أمرٌ لابد منه لطرد الجهل، والوصول إلىٰ مرتبة معينة من العلم حسب الجهد المبذول.

لكن **هل ينحصر الأمر بهذه الجهات**، أو إن هناك منافذ تتعدىٰ المادة والتدرج والمعلّمين من البشر؟

إنه نعم، وهو منفذ التقوىٰ، فإنها تفتح الأفق لاكتساب المعارف بطريق التوفيق الإلهي غير المرئي.

التقوىٰ توحي بالعلم للمرء مثل نور يدخل في القلب من حيث يشعر المرءُ أو لا يشعر، قال تعالىٰ:

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[البقرة: ٢٨٢]



٢ ضَبْطُ النَّفْسِ

لا تجـري الريـاح دومـاً كـما تشـتهي، ولا تسـتقيم لـك الأمـور أبـداً كـما تحـب، إنـما هـي الدنيـا، مـرة معـك، وأخـرىٰ عليـك.

وهكـذا تبقـىٰ إلىٰ أن يـرث الله تعـالىٰ الأرض ومـا عليهـا.

يمكنـك أن تُنفّـس عـما في داخلـك بألـف طريقـة وطريقـة، يمكنـك أن تغضـب، أن تـضرب، أن تـصرخ، وحتّـىٰ أن تكـسر.

لكـن **وحـده مـن يضْبـطُ نفسـه سـينتصر، وسـيربح، وسـيجني راحـة البـال** ولـو بعـد حـين.

ولذلك أسرّها ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾

[يوسف: ٧٧]



٣ تَسْلِيمٌ

قـد تسـمع مـن ولـدك معلومـة أو حـلاً لمشـكلة معـاصرة، فترفضهـا بحجـة أنـه قليـل الخـبرة ضعيـف المـدارك... قـد يكـون كذلـك.

قـد يعـرض عليـك تاجـرٌ حـاذق الدخـولَ معـه في مـشروع مربِـح، فتأبـىٰ الاشـتراك معـه، بحجـة أنـه إنسـان غـير معصـوم، وقـد يُخطـئ، فتكـون الخسـارة عظيمـة... قـد يكـون كذلـك.

لكن...

مـاذا لـو كان مـن أعطـاك حلـول مشـاكلك أو مشـاريع نجاحـك هـو الله تبـارك وتعـالىٰ؟!

﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

[النور: ١٩]



٤ شَرْطُ القَبُوْلِ

يتوسّل الناس بأسباب عاديّة ومعروفة ومقبولة عقلائياً، كي يصلوا إلىٰ مآربهم لدىٰ من يهمهم إرضاؤه، كمدير العمل، وكالولد بالنسبة لوالديه، والزوجة لزوجها وبالعكس...

هي حياتنا الدنيا، عالم الأسباب والمسببات، فلا نتيجة بلا سبب، ولا عطاء بالمجّان.

ماذا عن تقديمك طلبات القبول والرضا إلىٰ الله تعالىٰ؟

ما هو المنفذ إلىٰ ذلك؟

إنه ليس إلّا ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الـمُتَّقِينَ﴾.

[المائدة: ٢٧]



٥ إِكْمَالُ الحُجَّةِ

لا يمكن للقانون أن يُعاقب الناس علىٰ مخالفة قانون لم يتمّ تبليغُه لهم ببيان وافٍ.

ولا يصح امتحانُ الطلاب في مادةٍ دراسية لم تُبيّن لهم بصورة واضحة.

ولا يستقيم طردُ عامل لأنه خالَفَ نظاماً ما زال في ذهن المدير ولم يُصدرْه رسمياً.

هكذا بنىٰ العقلاءُ أمرَهم في مؤاخذة المخالف، وهكذا أيضاً تعامَلَ اللهُ تبارك وتعالىٰ معنا، لذلك فإنه تعالىٰ يقول:

﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

[الإسراء: ١٥]



٦ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ

عندما تريد الأمُّ أنْ تُقنع طفلها بشرب الدواء، فإنها قد تخيّره وتقول له: أيهما أفضل: أن تتحمّل مرارة الدواء لفترة قصيرة، أو تتحمل ألمَ المرض لفترة طويلة؟

هي ذكية في ذلك، حيث تترك الخيار لولدها أن **يقرّر مصيره**، فيستحق التصفيق والتشجيع لو أحسن الاختيار.

لقد تعامَلَ معنا الباري ﷻ تعامُلَ الأمِّ الرؤوم مع وحيدها، فبيّن لنا الداء، ووصف لنا الدواء، وأوضح طريقة استعماله، **لكنه ترك الخيار لنا في تقرير مصيرنا**، فأيهما أفضل:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً... أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَمَصِيراً﴾؟ [الفرقان: ١١ و١٥]



٧ إِعْفَاْءٌ بِشَرْطٍ

في بعـض القوانـين، يحـقّ للطالـب أن يتجـاوز مرحلتـه بـلا أداء الامتحـان النهائـي، وفي بعضهـا يحـقّ لـه أن يعْـبر مرحلـة كاملـة مـن دون أن يُنفـق سـنة مـن عمـره في دراسـتها، لكـن هـذا الحـق وهـذا (**الإعفـاء**) لم يـأتِ بالمجّـان، بـل إن لـه شروطـاً عليـه أن يحقّقهـا - كحيـازة درجـات معينـة - تؤهّلـه لهـذا الإعفـاء.

نحـن في الدنيـا في قاعـة امتحـان، وسـيكون الحسـاب شـديداً يـوم التخـرج، وهـو يـوم القيامـة، وهنـاك أيضـاً يوجـد إعفـاء مـن الحسـاب، **فيمكنـك أن تعـبر مرحلـة (الحسـاب)، لكـن بـشرط، وهـو:**

الصبر، حيث قال تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

[الزمر: ١٠]



٨ خَارِجُ المُسَاوَمَاتِ

أطبق العقلاءُ علىٰ أنه توجد مواقعُ معيّنة في الحياة، لا يصحُّ أن يشغلها أيٌّ كان، وإنما لابد أن يتوفَّر علىٰ **مؤهلات** ترشّحه ليشغلَها، وأنَّ خرق هذا الأمر العقلائي يؤدي إلىٰ العشوائية والبعثرة وبالتالي إلىٰ نتائج وخيمة علىٰ البشرية عموماً.

ومهما اختلفت المؤهلات وتفاوتت تبعاً لتفاوت المواقع، فإن **هناك شرطين لا يُتنازل عنهما** في كل المواقع، والمفترض أن يكونا خارج دائرة المساومات والمحسوبيات، وهما: **التخصّص**، **والأمانة**، ولذلك قال النبي يوسف عليه السلام لملك مصر:

﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

[يوسف: ٥٥]



٩ الغَدُ المَجْهُوْلُ

خـلال حياتـه الطويلـة، اسـتطاع الإنسـان - بفضل عقلـه وعزمه- أن يفتـح الكثـير مـن أبـواب دهاليـز الأرض المظلمـة، وتغلّب علىٰ الكثير مـن صعوباتهـا، فربـط بـين شرقهـا وغربهـا بخيـوط لا مرئيـة، حتّـىٰ تحولـت الأرض العملاقـة كقريـة صغـيرة، ونقّـب الجبـال ففتـح خلالهـا سُـبُلاً، وشـقَّ الأرض وغلَبَهـا علىٰ مـا أخْفتْـه في بطنهـا أزمنـة متماديـة، وارتشـف منهـا مـا في عروقهـا، بـل أخـذت عنقـه تشرئـبّ لبلـوغ آفـاق السـماء، وشـنَّ غـزوة بـلا هـوادة يريـد منهـا وضـع قدمـه علىٰ غـير الأرض مـن كراتهـا...

العلـوم اليـوم تطـورت بطريقـة القفـزات العلميـة لا التـدرج، ولو رجـع بعـض آبائنـا، فلربـما أصابـه الذهـول ممـا يـرىٰ، ولربـما توهـم أنـه يعيـش أحـداث فلـمٍ مـن الخيـال العلمـي.

كل ذلـك لم يشـفع للإنسـان في فتـح دهليـز الغـد، ومعرفـة مـا فيه، فبقـي الغـدُ بـما فيـه مغلقـاً عليـه، إذ ﴿**إِنَّ اللهَ عِنْـدَهُ عِلْـمُ السَّـاعَةِ وَيُنَـزِّلُ الغَيْـثَ وَيَعْلَـمُ مـا فِي الأَرحـامِ وَمـا تَـدْرِي نَفْـسٌ مـاذا تَكْسِـبُ غَـداً وَمـا تَـدْرِي نَفْـسٌ بِـأَيِّ أَرْضٍ تَمُـوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيـمٌ خَبِـيرٌ**﴾. [لقـمان: ٣٤]



١٠ الدِّيْنُ مِحْوَرُ تَفَاْضُلٍ

بنىٰ العقلاء حياتهم علىٰ أن هناك تفاضلاً بينهم حسب ما يتمتعون به من مؤهلات وخبرات وتخصصات، وهذا الأمر أدّىٰ إلىٰ تقويض الفوضىٰ وتنظيم المواقع وتطور الحياة.

إلا أن البعض يحاول أن يُلغي **محورية الدين** ودخالته في التفاضل، وأنه ليس من شأنه أن يُنظم المواقع، ومعه، فيمكن أن نُقدّس شخصاً تسنّم موقعاً بالقوة ولو من دون مؤهلات دينية، بل ولو خالف فعلُه وقولُه الشرعَ والعقيدةَ، **وهذا ما ابتلت به أطراف ادّعت الإسلام أمس واليوم**، فأين هم عن القاعدة القرآنية الواضحة:

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. [القلم: ٣٥ - ٣٦]



١١ انْتِسَابٌ قَهْرِيٌّ

لا أحـد يُحـب أن يُنسـب إليـه فعـل سيّءٌ أو صفـة قبيحـة، **والـكل يرغـب بالخـير لنفسـه**، بـل إن البعـض يحـبُ أن يُحمـد حتّـىٰ علىٰ مـا لم يفعـل، فحـبُّ الـذات أمـر مغـروس في أعـماق النفـس الإنسـانية.

قـد يفعـل شـخص فعـلاً حسـناً فيسرقـه آخـر منـه والنـاس لا تـدري، فيمدحونـه، ويبقـىٰ فاعلـه الحقيقـي طـيّ النسـيان.

وقـد يُخفـي المجـرمُ جريمتـه فتضيـع الحقيقـة وتتعلّـق القضيـة.

لكـن هـذا إنـما يكـون في الدنيـا، حيـث عـالم الأدلـة الإثباتيـة الظاهريـة، أمـا في الآخـرة، حيـث يـبرز الواقـع ويظهـر الحـق، فالأمـر مختلـف، إذ

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

[الإسراء: ٧]



١٢ صَاْحِبُ الفَضْلِ الأَوَّلُ

يتبـارىٰ البـشر بينهـم في مضـمار الحيـاة بأنـواع المباريات، وإن انتـصرت في واحـدة منهـا فـلا ضـمان بأنـك منتـصر فيهـا جميعـاً، **فيـومٌ غالـب**، **ويـوم مغلـوبٌ**، هكـذا إلىٰ أن يـرث الله تعـالىٰ الأرض ومـا عليهـا.

دراسـتك مبـاراة، تربيـة أولادك ومـداراة أهلـك أخرىٰ، كـدّك عليهـم مبـاراة ثالثـة، وتحمّلـك جـارك رابعـة، وهنـاك خامسـة وعـاشرة وألـف...

الملاحظـة المهمـة هـي: أن عـلىٰ الإنسـان الناجـح في حياتـه والمنتـصر في أغلـب مبارياتـه أن **لا يأخـذه الغـرور إلىٰ حيـث ينسـىٰ صاحـب الفضـل الأول والأخـير عليـه**، إذ ﴿وَلَـوْلا فَضْـلُ اللهِ عَلَيْكُـمْ وَرَحْمَتُـهُ فِي الدُّنْيـا وَالآخِـرَةِ لَمَسَّـكُمْ فِيـما أَفَضْتُـمْ فِيـهِ عَـذابٌ عَظِيـمٌ﴾ [النـور: ١٤]



١٣ ألَا تُحِبُّ أنْ يُغْفَرَ جُرْمُكَ؟!

ليس عند القانون رأفة ولا رحمة، فهو يرمي من لا يمشي علىٰ صراطه المستقيم في وادٍ سحيق، هو يعاقب المخطئ ولو كان مشتبهاً، ولو أعلن توبته، هو لا يحمي المغفلين، وهو أيضاً لا يُثيب. هكذا هو في الغالب.

من ناحيته، فإن الإنسان مهما كان مجرماً، فإنه يبقىٰ غير راغب بأن يطّلع علىٰ جرمه أحدٌ، ويتمنىٰ أن يغضّ القانون عن جرمه ولو قُبض عليه متلبساً بالجريمة أو شهد عليه من لا يُكذَّب، هو يرغب بالعافية في جميع شؤونه، وله الحق في ذلك.

لكن ماذا عن ذنوبنا مع بارئنا؟!

كيف لنا أن نتخلص منها؟

إن واحداً من السبل إلىٰ ذلك هو العفو والصفح، إذ يقول ﷻ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [النور: ٢٢]



١٤ لا مَهْرَب!

يعتمد القضاة كثيراً علىٰ ما يقع بين أيديهم من شواهد وعلامات علىٰ إثبات براءة متهم أو إدانته، فيبحثون عن بصمة إبهام في مسرح الجريمة، أو فلتة لسان في جلسة المقاضاة، أو شاهد صدق يُدلي بالحقيقة.

المتهم من جهته لن يستسلم، فحُبُّه لذاته يدفعه إلىٰ إخفاء بصماته، وضبط لسانه، وقد يجرح في الشهود ويردّ شهادتهم بطريقة وبأخرىٰ، وهكذا قد يتملّص من جرمه ويهرب من تبعاته.

لكن ماذا لو كان الشهود ممن لا يُكذَّبون!

ماذا لو كان القاضي يثق بهم!

ماذا لو لم يكن للمتهم أن يردّ شهادتهم!

فليحذر المجرمون والمخطئون والمذنبون:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [النور: ٢٤]



١٥

تَفَقُّدٌ ذَكِيٌّ

يرتبط الناس فيما بينهم بروابط عديدة، كرابطة الأسرة والجيران والعمل والقبيلة والدولة والعرق.

عادة ما يكون لكل رابطة **قاعدة ورأس هرم**، أفراد القاعدة يحتاجون إلىٰ من يُنظّم أمورهم ويحل مشاكلهم ويجمعهم لو فرّقتهم بعض الأسباب، وهذه مسؤولية رأس الهرم، سواء كان هو الأب أو الوجيه أو القائد.

وحتّىٰ ينجح في إدارة قاعدته، فهو يحتاج إلىٰ أن **يُبرز اهتمامه بالأفراد ومتابعتهم بذكاء**، ليبادلوه هم الاهتمام، ولذلك فإن النبي سليمان عليه السلام:

﴿تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَىٰ الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الغائِبِينَ﴾. [النمل: ٢٠]



١٦ التَّرَيُّثُ فِيْ إِصْدَارِ الأَحْكَامِ

يحب الإنسان في كثير من الأحيان أن يصل إلىٰ مآربه أسرع من لمح البصر، لذلك عمل علىٰ تطوير وسائل طيّ الأرض واختصار المسافات، الأمر الذي وفّر له الكثير من الجهد والوقت، وبالتالي صار الوصول إلىٰ الأهداف أسرع من ذي قبل.

طلب السرعة في وسائل النقل لا يعني بالضرورة أن يكون المرء مستعجلاً ومتسرّعاً في كل أحواله، فلو وصل لك خبر سوء من أخيك، فاغتظت منه، فليس من الصحيح أن تتعامل معه بدون تريث ولا روية ولا تحرٍ عن الحقيقة، ولذلك نجد أن النبي سليمان عليه السلام قال للهدهد لّما نقل له خبر سجود قوم بلقيس للشمس: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾. [النمل: ٢٧]



١٧ مَسْؤُولِيَّةُ النِّعَمِ

كل عاقل يرغب أن تكون أموره من الأفضل وإلىٰ الأفضل، أما البلاء وقلة ذات اليد، والمرض، والخوف، فهي أسباب معقولة ليعيش المرء القلق وليهرم قبل أوانه.

لو جاءت الدنيا بنعيمها وطرحته بين يدي أحدهم، فقد يرىٰ لنفسه الفضل في ذلك، قد يرىٰ أنه أعظم ما خلق الله تبارك وتعالىٰ، قد يصل الأمر ببعضهم إلىٰ أن يتكبر علىٰ غيره.

لكن **علىٰ كل واحد منا أن يعي أن ما يصل إليه من نعيم الدنيا فإن الفضل فيه لله تعالىٰ**، وبالتالي تترتب عليه مسؤولية الشكر، ولذلك فإن سليمان عليه السلام لّما رأىٰ عرش بلقيس ﴿مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾. [النمل: ٤٠]



١٨ مَسْؤُولِيَّةُ الوَجَاهَةِ

لا يخلو مكان ولا زمان من حدوث مشاكل ونزاعات بين البشر، ولولا العقل لتحولت أبسط مشاكلهم إلىٰ حرب ضروس تُحرق الأخضر واليابس.

العقل لوحده في بعض الأحيان يعجز عن حل أبسط المشاكل، إذ تتغلب عليه الحميّة أو القبلية أو حتّىٰ نزعات النفس وشهوتها، فكانت هناك حاجة ملحّة إلىٰ عناصر مساعدة، ومنه الوجهاء الذين يعملون علىٰ إحلال السلام وكشف الحق ورد الباطل.

وكما كان للوجهاء وجه وتقدير بين الناس، **كانت عليهم مسؤولية عظيمة عندما يجلسون في مجلس قضاء**، تتلخص بقوله تعالىٰ:

﴿وَلا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالباطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. [البقرة: ٤٢]



١٩ أَمَارَةُ نُقْصَانِ العَقْلِ

لإلقاء الخطابات دور مهم في إشعال الحماس واستلهام الهمم ونقل القصص المواقف، فسوق الشعراء ما بارت منذ وُجدت، ومنصّات الخطباء كانت ولا زالت، وهي فن لا يُتاح لأي أحد ما لم يتسلح بالكثير من العلم والشجاعة والفطنة.

وليُعلم أن هذا الفن لم يكن لإثارة الجنود عند الملاحم فحسب، وإنما له عروق تمتد للأب في بيته، ولمدير العمل في دائرته...

تحتاج إلىٰ العديد من الأساليب لتكسب الجولة في النقاش أو الوعظ أو النصح، ومهما يكن **فلا أهم من أسلوب مطابقة قولك لفعلك، فهو أمارة علىٰ العقل، وخلافه أمارة نقصانه**، ولذا قال تعالىٰ:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. [البقرة: ٤٤]



٢٠ أَقْسَىٰ مِنَ الحَجَرِ

امتاز الإنسان عن بقية الموجودات الأرضية بالكثير من المميزات، **وعلىٰ رأسها العقل**، بالإضافة إلىٰ مجموعة من الغرائز والشهوات التي كان لها دور مهم في استمرار الحياة.

الملاحظ: أن الإنسان يعيش في بعض الأحيان - إنْ لم نقل في الكثير منها - حالات من الازدواجية، فبينا تراه صاحب عقل راجح، تراه في لحظة كصبي لا يعرف التمييز بين أوضح الأمور.

انظر إلىٰ قلبك كيف يهفو اشتياقاً لولدك الصغير، وكيف يلين رحمة ليتيم، وانظر لروحك كيف تهدأ عندما ترىٰ حديقة غنّاء، حينها ستستغرب كثيراً ممن يبخل علىٰ عياله، أو يأكل حق يتيم لا يقدر أن يدفع عن نفسه ضيماً، أو يدمّر حديقة بمِعْول الغضب أو منجل العبث!

هكذا هم البشر، لا أرأف منهم في بعض الأحيان، إلّا أن للبعض منهم قلوباً ﴿كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. [البقرة: ٧٤]



٢١ إِحْصِاءٌ دَقِيْقٌ

تعتمد الدول والمؤسسات والدوائر، وحتّىٰ المحلات الصغيرة، علىٰ **نظام تسجيل دقيق** لمتابعة موظفيها، وبالتالي محاسبتهم علىٰ تقصيرهم أو إثابتهم علىٰ أدائهم.

خذ مثالاً علىٰ ذلك: شبكات الاتصالات.

إنها تخصص قدَراً مهماً من أجهزتها ومواردها لتوثيق استعمال المشتركين علىٰ خطوطها وتسجيل تكاليفه.

الإنسان من جهته سيضع في حسبانه هذه الحقيقة، **وسيعمل علىٰ أن لا يرتكب ما يؤثر سلباً عليه**.

نفسُ الأمر استعمله الله تبارك وتعالىٰ مع البشر، إذ يقول ﷻ:

﴿هَذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. [الجاثية: ٢٩]



٢٢ خَسَارَةٌ وَحَسْرَةٌ

يعلـم الإنسـان أن عقلـه لا يسـتطيع أن يُلـمَّ علـماً بجميـع مـا في الكـون، ولا يتمكـن مـن إدارة كل مـا يـرد عليـه مـن قضايـا لوحـده، ولذلـك آمـن بفكـرة مشـاركة النـاس عقولَهـم مـن خـلال مشـورتهم والاسـتفادة مـن خبراتهـم وتجاربهـم.

حتّىٰ الأطفال يطبقون هذا المبدأ.

إن مـن يخالـف ناصحـاً أمينـاً، أو يرتكـب مـا نهـاه عنـه الخبـير، يسـتحق مـن العقـلاء الملامـة، وقـد يرميـه البعـض بسـخف العقـل وضعـف الـرأي، إن لم يصـل إلىٰ حـدّ الشـماتة أو الاسـتهزاء.

البـاري ﷻ لا يشـمت ولا يسـتهزئ، بـل هـو ينـادي بنا: ﴿يـا حَسْرَةً عَـلَىٰ العِبـادِ مـا يَأْتِيهِـمْ مِـنْ رَسُـولٍ إلّا كانُـوا بِـهِ يَسْـتَهْزِؤُونَ﴾. [يـس: ٣٠].



٢٣ ثَبَاتُ المَسَارِ

قلّما نجد شخصاً لم يغير بيته أكثر من مرة في حياته، ونادراً ما نواجه من لم يُبدّل علاقاته عشرات المرات، حتّىٰ الطعام الذي تفضّله، قد تأتيك ساعةٌ تملّه وتعشق غيره.

هذه أمور مسموح بتغييرها، إذ ليس من ضرر كبير في ذلك، إلّا أنه غير مسموح فيما يتعلق بالعقيدة الحقّة والأخلاق الفاضلة واستشعار الرقابة الإلهية، فهذه ثوابت لا يجوز تغيير المسار عنها.

علينا أن نحذر جيداً، وأن نغرس في نفوسنا جذور تلك الثوابت بعيداً عن التغير، فإن القلوب كالريشة في مهب الريح، ﴿كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَالباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ﴾. [الرعد: ١٧]



٢٤ مَسْؤُولِيّةُ المَوْقِعِ

هناك أعراف عند الناس تقتضي أن يجلس كبار السن في موقع معين يليق بهم، وتدفع الوجيه إلىٰ أن يترك ممارسة بعض التصرفات المباحة علىٰ غيره، وتوجب علىٰ الكريم أن يغضّ الطرف عمن يسيء إليه.

المقام، والموقع الاجتماعي يفرض علىٰ صاحبه بعض الالتزامات العرفية.

هي التزامات لتنظيم المواقع، وخرقها يؤدي إلىٰ اختلاط الأوراق وضياع الأهداف وضحالة النتائج.

علىٰ كل فرد أن يعرف موقعه، وما يترتب عليه من التزامات، ولا يتجاوز علىٰ غيره في موقعه، ولا يرتقي المنبر قبل الخطيب، وليكن كما الكون كله، فإنه ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. [يس: ٤٠]



عَهْدٌ لَازِمٌ

يولد البشر وهم لا يملكون من العلوم شيئاً، سوىٰ بعض الغرائز الفطرية التي تدفع الطفل إلىٰ البكاء لو جاع، ثم يأخذ يلتهم المعارف بلا هوادة من خلال ارتياد المعاهد العلمية.

إلا أن المعارف لم تُحبس خلف جدران تلك المعاهد فحسب، وإنما هناك منافذ أخرىٰ للاستزادة، كالتجارب، وأقوال الحكماء، والتأمل الشخصي والتفكر.

ومن **أهم ما يرسم سبيل الفلاح ويزيد من عقل الإنسان هي الوصايا الإلهية**، إذ هي نابعة من عين صافية تعرف مداخل الإنسان ومخارجه ومصيره وما ينفعه وما يضره، وإنْ نسينا وصية إلهية لغفلة أو سهو أو تهاون، فعلينا أن لا ننسىٰ ولا نتهاون ولا نغفل عن أنه تعالىٰ أوصانا فقال:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾. [يس: ٦٠ – ٦٢]



٢٦ التِقَاْطُ الإِشَاْرَةِ

حتّىٰ تستفيد من خدمة الانترنت، تحتاج إلىٰ أن توجّه اللاقط الإلكتروني بدقة إلىٰ مصدر التجهيز، وأي انحراف فيه سيُفقدك الإشارة وتخسر الاتصال.

الطائرة حتّىٰ تصلَ إلىٰ الهدف، تحتاج إلىٰ تأمين الاتصال مع برج المراقبة في المطار لتستلم الإحداثيات بدقة، وتهبط بسلام.

وأنت، حتّىٰ تحصل علىٰ التوفيق الإلهي والتسديد والتوفيق، **تحتاج إلىٰ تأمين اتصال جيد لعلاقتك مع الباري** ﷻ، وأي انحراف عن الجادة سيُفقدك الاتصال وتخسر، وهذا معنىٰ من معاني:

﴿فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ﴾. [الصف: ٥]



٢٧ قَانُوْنُ الزِّيَادَةِ

كلما قرأتَ كتباً أكثر، اتسع عقلك وتطور، وكلما زادت ساعات قيادتك للسيارة، كلما أتقنت القيادة، وزادت خبرتك بها، وكلما أغدقت أولادك بالحب والاهتمام، زاد تعلّقهم بك، وفي كل ذلك يكون العكس بالعكس.

هكذا كثير من قوانين الحياة، **إذا زادت من طرف، صاحَبَها ازدياد من الطرف الآخر، والعكس بالعكس**.

أن تحبَّ النعمة، وتحبَّ أن تزيد عليك، له قانون عليك التزامه، ومن دونه لن تحصل إلّا العكس، فقانون الزيادة هو:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. [إبراهيم ٧]



٢٨ الحَقِيْقَةُ المُرَّةُ

هناك بعض الألعاب الإلكترونية التي يعمل الطفل فيها علىٰ جمع أكبر عدد ممكن من الأنصار والكنوز، وقد يدخل في عالمه الافتراضي ليكون البطل الذي يهزم الجيوش ويُطيح بها، ويعيش الطفل حينها حالة من الزهو والعنفوان والانتفاخ حتّىٰ إنه قد يبين ذلك علىٰ تقاسيم وجهه وإشراقة مُحيّاه.

ولكن، ما أن تنتهي لعبته أو ينقطع التيار الكهربائي، حتّىٰ يفقد كل زهوه وأنصاره وكنوزه، وحتّىٰ يرجع صفر اليدين مما كسب، ويبقىٰ وحيداً بلا جيش ولا أتباع!

هل عرفتم الآن المغزىٰ من حقيقة النزول إلىٰ القبور!

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادىٰ كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَما نَرىٰ مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾. [الأنعام: ٩٤]



٢٩ قَرَارُ اسْتِئْنَافٍ

كما أن هناك محكمة جنائية وجزائية، فإن هناك محكمة استئناف، تنظر في القضايا، إذ لعلها تجد خطأً في حكم، فتخففَّ العقوبة علىٰ المجرم، أو قد تُثبت براءته، وفوق هذه المحاكم قد تتخذ الحكومة قرارات بحق المجرمين، قد تصل إلىٰ حد العفو الخاص أو العام، وقد تعوّض البعض منهم نوعاً من التعويض.

المحكمة الإلهية لديها من الأدلة ما يكفي ليُقرّ المتهم بجرمه، حيث تغلق عليه منافذ التملّص والتهرب، إلّا أنها رغم ذلك **فتحت باب الاستئناف، وهي تنتظر علىٰ الدوام أن يستفيد منه المذنبون.**

أما كيف؟ فهذا ما قاله ﷻ:

﴿إِلَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

[الفرقان: ٧٠]



٣٠ التِزَامُ لَائِحَةِ الشُّرُوْطِ

عندما ترغب في الالتحاق بوظيفة في دائرة معينة، فإن عليك أن تتوفّر علىٰ جميع الشروط التي تفترضها الدائرة، وعندما تقتنع تماماً بجدواها، فإن عليك أن توقِّعَ بالموافقة، وبعدها، لا يحقّ لك أن تخالف ولا بنداً واحداً من تلك الشروط.

الدول عندما تُمضي اتفاقاً بينها، فإنها تضع لائحة شروط علىٰ الطرفين، وأي مخالفة أو خرق لها من أحد الأطراف، فإنه قد يؤدي إلىٰ إلغاء الاتفاقية من الأساس.

هل عرفتم الآن لماذا قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؟ [البقرة: ٨٥]



٣١ تّدْوِيْنٌ دَقِيْقٌ

في زحمة الحياة، قد تضيع الكثير من التفاصيل الصغيرة وربما الكبيرة، وقد تنسىٰ العديد من المواعيد حتّىٰ المهمة منها، وقد تهمل بعض الأمور التافهة أو حتّىٰ الضرورية، وهكذا قد ترجع إلىٰ بيتك بعد يوم طويل، لتجد أنك قد ضيَّعتَ ما لا ينبغي تضييعُه، وأهملت ما يلزم الاهتمام به.

حتّىٰ يُقلّص الإنسان من هذا التضييع، أخذ يدوّن مهامه بمذكّرة خاصة، وقد يقسمها إلىٰ الأهم والمهم وغير المهم، وقد يقسمها إلىٰ المستعجل وغير المستعجل، ومع ذلك فإنه ما زال يُضيِّع حتّىٰ مذكّراته!

ومهما نسيتَ من عمل، فإنك ستجده يوماً ما، كاملاً لا ضياع فيه ولا سهو.

أين؟ إنه عند ربك ﷻ، إذ ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾. [طه ٥٢]



٣٢ مُرَاقَبَة دَائِمَةٌ

طبيعة كثير من البشر - إن لم يكن كلهم - أنهم يحبون الحرية إلىٰ حد الانفلات وعدم الانضباط بقانون أو قيود، فالإنسان عادة ما يحب أن يحصل علىٰ ما يرغب علىٰ طريقة ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ﴾. [القيامة: ٥]

العقلاء أدركوا أن هذه الطبيعة تؤدي إلىٰ الفوضىٰ وضياع الحقوق، بل إنها تُودي بحياة البشر وتُحيلها إلىٰ حياة غاب، بل أسوأ، **فشرّعوا القوانين التي تضبط الحركة وفق نظام الحقوق والواجبات**.

تلك الطبيعة من جانبها لم تستسلم، فأخذ الإنسان يلتفّ حول القانون برشوة أو إخفاء جريمة وما شابه، فعمد العقلاء إلىٰ فتح عيون القانون بقوة، فاخترعوا كاميرات المراقبة، لترصد كل تحرك مشبوه، ولتوثّق الجريمة.

هذا من جهة العقلاء، والقانون، وأما من جهة الخالق ﷻ، فإنه ﴿يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأَرضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيها وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [الحديد: ٤]



الحَاكِمُ الشَّاهِدُ

٣٣

قد نجد بعض البشر يستمرئ الجريمة، لكن نادراً ما نجد من يتباهىٰ بها أمام الملأ، فالمرء يحب كرامة نفسه، ويكره أن تُنسب له الجريمة والفاحشة وأي سلوك قبيح ولو كان متمرّساً في ذلك كله.

ومن هنا، فإن المجرم يعمد إلىٰ إخفاء جرمه وأخطائه، ويحاول دوماً أن يُلمّع شخصيته ويخفي معايب سلوكه أمام الآخرين، مستغلاً عدم قدرتهم علىٰ الاطّلاع علىٰ البواطن.

البعض تمادىٰ في غيّه ونفاقه وخداعه هذا حتّىٰ إنه تصور أنه يمكن أن يخدع الله تعالىٰ!

والحال أنهم ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكانَ اللّٰهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾. [النساء: ١٠٨]



٣٤ شَغَفٌ وَعَطْفٌ

تحلم الفتاة بشابٍّ يُغرقها بالحب والهُيام، ويحلم الشابُّ بفتاة تغمره بالمودة والوئام، وما أن يتحقّق الحلم، حتّىٰ تبدأ حياتهما بلونها الوردي مملوءةً شوقاً وشغفاً... وكلما خبا ذلك الهيام وقل الوئام، أشعلته نار الحب والاشتياق، فلمرحلة الشباب جذوة لا تخبو، بل هي متجددة وقّادة.

إلا أن تقلبات الأيام تعمل عمل الماء في النار، وتؤثر أثر القوس في الظهر، فلا تجري علىٰ سياق واحد من اليسر والليونة، بل هي بين شدة ورخاء، فَرَجٍ وبلاء، عسر ويسر.

القرآن يرسم النموذج الأرقىٰ لاستمرار الحياة الزوجية رغم الصعاب، فيفترض أن الزوجين يُظهران المودة والحب والشغف بينهما علىٰ طول خط علاقتهما، فإن صعبت الحياة وتلكأت، فالرحمة هي المفتاح الذي تُحلّ به عُقد المكاره.

وصدق من قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. [الروم: ٢١]



٣٥ وَسَائِلُ إِعَانَةٍ

ليس عند الإنسان قوىٰ خارقة تُمكّنه من تذليل كل صعوبات الحياة، وليس له إلّا أن يستعين بأخيه الإنسان، ويتوسل بالآلة، ويعتمد علىٰ المشورة، ويُراجع التجربة، ويُجمّع الآراء.

ورغم ذلك كله، فإنه قد يصل إلىٰ صحراء قاحلة، أو إلىٰ طريق مغلق، فيتيه لُبُّه، ويحار عقلُه، ويفقد أي إعانة من البشر أو من تجاربهم.

حينها، **لن يبقىٰ له إلّا أن يرجع إلىٰ بارئه**، ليتوسل به أن يهديه لرشده ويوصله إلىٰ سبيل رحب، بوسيلة ناجعة، ولن يجد الباري إلّا مجيباً، ولن يجده إلّا معيناً، وقد رسم الباري ﷻ لنا طريق الولوج إلىٰ ذلك، فنادىٰ بنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. [البقرة: ١٥٣]



٣٦ بِشَارَةٌ علىٰ غيرِ تَوَقُّعٍ

ما الفرق بين البشارة والإنذار؟

الأمر واضح، فالبشارة تكون في الأمر المحبوب، والإنذار يكون عن الشيء المكروه، والذي يرجع علىٰ الشخص بسوء.

المصائب والبلايا، عادة ما نعدّها أمراً مكروهاً، ونبوّبها فيما يرجع علينا بسوء، وبالتالي فهي محلٌ للإنذار والحذر، ولكن علىٰ كل حال **فالإنسان لابد أن يواجه واحدة من تلك المصائب، وربما مائة منها**.

الناس ستبقىٰ تدعو بالحيطة والحذر منها، وتُنذر من أقبلت هي عليه: أن احذر، ها هي قادمة!

إلا أن الله تعالىٰ يُبشّرنا بها بشرط فيقول:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]



٣٧ تَذَوُّقُ عُمْقِ القُرْآنِ

لا شك أنك جرّبت أن تدخل مطعماً مشهوراً بطعامه الشهي، وقد أظهرت إعجابك به وأنت تتلذّذ به، لكنك لم تكن تعرف تفاصيل مركباته ونِسَبَها وكيفية طهوه، فذاك عمل الطاهي وتخصصه، وحتّىٰ لو أعطاك المركبات، فلعلك لا تُحسن أن تضعها حيث ينبغي وكيف ينبغي.

وهكذا عندما تقود سيارة فاخرة، تستمتع كثيراً بدقة صنعها وتناسق تصميمها، رغم أنك بالتأكيد لا تعرف كيف صُنعت هذه السيارة وكم عقلاً عمل عليها وكم يداً! نفس الشيء يُقال عندما تستعمل جهاز حاسوب أو هاتفاً ذكياً...

نظير هذه المعاني تجدها في القرآن الكريم، **فأنت تقرأ آياته وتلتذ بنسقها وتطرب لشداها، لكن** ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلّا أُولُوا الأَلْبابِ﴾. [آل عمران: ٧]



٣٨ اسْتِيْلَاْءُ الخَطِيْئَةِ عَلَىَ النَّفْسِ

عندما يقع المجرم بقبضة القانون، قد يُبدي أسفه علىٰ ما جنتْ يداه، وقد يعترف بجُرمه نادماً، وقد تفيض دموعه خجلاً، عندها، حتّىٰ لو حُكم عليه بما يستحق، إلّا أن التعاطف سيكون حاضراً في قلب حتّىٰ الحاكم ربما.

تلك الدموع قد تحكي عن ندم يُقطّع القلب، وهي تحكي أيضاً عن أن بذرة الخير ما زالت علىٰ قيد الحياة في أعماق قلبه.

أمّا أن ترىٰ مجرماً جامد العين، يستهزئ بالحكم والحاكم، مصرّاً علىٰ الجرم، يراوغ في تبرير جرمه ولو بالكذب، فهذا لا شك أن خطيئته قد استولت علىٰ وجوده، بحيث أصبح والموعظة لا تدخل قلبه. **وهذا ما حكاه القرآن عن بعض المجرمين** الذين كذّبوا بالحق رغم وضوحه، ومالوا عنه رغم انبلاجه، والسبب في ذلك أنهم قد ﴿رانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾. [المطفّفين: ١٤]



الهَدَفُ الأَسْمَىٰ

يُلقي الفلاح بذوره في أرضه، يُغطّيها بالتراب، يسقيها، يبقىٰ أياماً أو أسابيع أو حتّىٰ أشهراً وهو لا يرىٰ أي بشارة خضراء، وبعد فترة، وعندما يجني طيّب الثمر، سينسىٰ تعب تلك الأيام وألم الانتظار وقساوته.

هكذا العدّاء في مضمار سباق، ينطلق بأقصىٰ سرعته، ليربح ذهبية تزين صدره، وما كان ليحصل على ذلك لو أنه لم يبذل جهداً ووقتاً لا يُستهان بهما في التدريب والصبر.

لنفهم إذن معنىٰ **أن حياتنا مزرعة الآخرة، ومضمار السباق**، وأن المؤمنين في الجنة ﴿عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ * يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشّارِبِينَ * لا فِيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾. [الصافات ٤٤ - ٤٩]

وبالتالي فإنّ ﴿هذا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ * لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العامِلُونَ﴾. [الصافات ٦٠ - ٦١]



٤٠ اتِّبَاْعٌ عَلىٰ عِلْمٍ

تحيط بالإنسان الكثير من المؤثرات الخارجية، والتي تؤثر علىٰ سلوكه، بل حتّىٰ علىٰ تفكيره. فعائلتك أحد تلك المؤثرات، تجعلك تصوغ سلوكك بكيفية معينة، قانون الدولة مؤثر ثانٍ، عشيرتك وسننها العرفية ثالث، ثقافة المجتمع الذي تعيش وسطه رابع، وهناك خامس وعاشر.

العلم أرقىٰ ما كشف لك الطريق، وأصدق من هداك إلىٰ الرشد، لتعيش التوازن بين كل تلك العلاقات والمؤثرات.

وإنّ من أسوأ ما يُصاب به المرء إزاء تلك العلاقات هو: **أنْ يترك ما يعلم أنّه نافع لدنياه وآخرته، ليذهب إلىٰ ما يضره فيهما**.

وأما أنت، حيث إنك تطلب العافية في حياتك الخالدة، فعليك إذاً أن تلتزم طريق الهدىٰ، إذ ﴿إِنَّ هُدَىٰ اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾. [البقرة: ١٢٠]



٤١ وِجْهَةٌ سَلِيْمَةٌ

تختلف توجّهات الناس حسب ما يرونه محقِّقاً لذواتهم أو نافعاً في تحصيل سعادتهم، فبينا تجد من يطلب المال ليترفع عن سؤال الناس، تجد آخر يطلبه ليتكبر عليهم، وشتّان بين الاثنين.

حتّىٰ في العلم الذي هو من أعظم الموجودات، فبينا تجد البعض يطلبه ليُخرج نفسه من غياهب الجهل ولينفع به العباد، تجد آخرين يطلبونه ليُماروا به السفهاء أو ليظهروا به علىٰ العامة فيقتنصوا منهم الشهرة والمال.

وقل مثل ذلك حتّىٰ في العبادة.

فالحقيقة إذن هي أنه ﴿لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [البقرة: ١٤٨]



٤٢ حَيَاْةٌ بِسَبَبٍ عَكْسيٍّ

عندما يضع العقلاء والخبراء قانوناً معيناً، يتعلق بالحياة الاجتماعية للبشر، فإنهم يأخذون بنظر الاعتبار نوع الفعل، والعقوبة المناسبة علىٰ المخالفة، والتي قد تكون مجرد توبيخ، أو غرامة مالية، وقد تتطور إلىٰ السجن المؤقت أو المؤبد، وربما تتضخم إلىٰ الإعدام الذي قد يكون بسبب جريمة قتلٍ من الجاني، وهذه العقوبة من شأنها أن توقف استمرار سيل الدم أخذاً بالثأر، وإلا فلماذا ينتظر ابن المقتول إن رأىٰ قاتل أبيه يتنفس الهواء ويمشي في الأسواق!

وللشريعة قانون يُشابه ما تواضع عليه العقلاء والخبراء، وهو أيضاً يتضمن عقوبات تدريجية، ولذا كان ﴿لَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الألبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [البقرة: ١٧٩]



٤٣ إِرَادَةٌ حَانِيَةٌ

كلنا نتذكر كيف كُنّا نتذمر من الأوامر والتقييدات التي تصدر اتجاهنا من آبائنا، وكلنا نتذكر كيف كُنّا نتبرّمُ من قيود المدرسة، ولم نفهم المغزىٰ منها - وأنها كانت لصالحنا ولأجل صقل مواهبنا وتعريفنا بالحياة من وجهها الصعب، ليكون الواحد منا كيّساً يُصارع أمواج الحياة - إلّا بعد حين.

نفس الفكرة علينا أن نضعها أمام أعيننا حينما **نجد في قلوبنا تساؤلاً عن تشريع لم نعرف المغزىٰ منه**، فهو بلا شك لصالحنا، لنربح، ولو بعد حين، ولا يضرُّنا جهلنا بالحكمة منه، بل يكفينا أنه:

﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾.

[البقرة: ١٨٥]



٤٤ لَا ضَيَاْعَ

يعيش المؤمن حالة من **الصراع مع نفسه** فيما يتعلق بأعماله العبادية، فبينا تدفعه مبادئه وعقيدته إلىٰ أن يعمل كل أعماله بقصد القربة الخالصة، ولا يهمه بعد ذلك أَطّلع الناس عليها أو لا، تجد أن نفسه تدفعه - حرصاً منها علىٰ تلميع سمعتها وحباً منها لذاتها - إلىٰ إظهار عباداته للعلن، ليكتسب السمعة الطيبة والجاه العظيم، ولا شك أن الناس تحب من يعمل الخير.

في دوامة كهذه، قد يقع الإنسان مرة ويقوم أخرىٰ، **ولكي يقوم هو يحتاج إلىٰ من يُشجّعه، ويحفّزه**، فيأتي القرآن الكريم ليُبشّر المؤمن ويطمئنه بأن الحق والعمل الصالح إن أُخفي عن الناس، إن ضاع جزاؤك في زحمة انشغالهم بالمظاهر، فلا تقلق، إذ:

﴿وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ وَاتَّقُونِ يا أُولِي الألْبابِ﴾. [البقرة: ١٩٧]



٤٥ العِزَّةُ بِالْإِثْمِ

تتمثـل **الأخـوّة الإنسـانية والدينيـة** في العديـد مـن المواقـف الحياتيـة، فقـد يقـع الفـرد في شـدة ماديـة، ليجـد إخوتـه يُحيطـون بـه يُغدقـون عليـه مـا يحتـاج إليـه مـن المـال، ولربـما يكتشـف أن أُخوّتهـم كانـت زائفـة!

قـد يقـع في حـيرة مـن أمـره، فيجـد أصحابـه مـن أهـل التجـارب يَهَبُـون لـه خبرتهـم ونتائـج تجاربهـم وعصـارة أعمارهـم، فيحصـل عـلىٰ حلـول ناجعـة، وقـد يرجـع منهـم بخُفّـي حنـين!

عـادة مـا يقبـل الإنسـان النصيحـة في هـذه الظـروف، ولكــن البعــض يأبــىٰ القبــول، ولا ينتفــع بالنصــح، خصوصـاً لـو بـيّن لـه أحدهـم أنـه عـلىٰ خطـأ أو انحـراف، وقـد يسـتمرّ في لجاجـه إلىٰ سـاعة لات منـدم، ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهادُ﴾. [البقـرة: ٢٠٦]



٤٦ بَيْنَ النَّوْعِ وَالكَمِّ

تتنافس الشركات الصناعية فيما بينها لجذب الزبائن، وتتخذ لأجل ذلك وسائل عديدة، بعضها تستخدم قوة الإعلام ليسرق رغبة الناس، وبعضها تهتم بتقليل أسعار المنتوج ولو على حساب الجودة، ليشتريه أصحاب الدخل المحدود، من باب أنه أفضل من العدم، وبعضها تعتمد اختراع الجديد ليقتنيه كل محبٍّ للتطور.

ويبقى الأفضل من يهتم بالجودة، والنوع، والدقة، أكثر من الدعاية والسعر والأرباح وإن اهتمّ بها، والرغبة في السلع اليابانية خير شاهد.

فليس مهماً الكمُّ بقدر ما هو مهمٌّ النوع، هذا في عالم الشركات والسلع.

الدين اهتم أيضاً بنوع العمل وحسنه أكثر من كمِّه وإنْ كان مهماً، ولذلك فإنه تعالىٰ ﴿خَلَقَ المَوْتَ وَالحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ﴾. [الملك: ٢]



٤٧ تَقْدِمَةٌ مُهِمَّةٌ

يُقدّم الجيش أثناء المعارك مجموعةً من جنده ليكشفوا له وضع العدو، وليعطوا التوصيات اللازمة، فيتقدم بقدم راسخة وهو يرنو نحو النصر... هي فكرة عملية رائعة، أثبتت جدواها في الحروب.

عادة ما لا يُجازف التاجر الحاذق بكل أمواله، إنما يُبقي بعضاً منها تحسّباً للطوارئ والمفاجآت... هو ذكي حيث يُبقي لنفسه ما لا يُجلسه أعزلاً...

أن يحتاط الإنسان في أموره، فهذا فعلٌ حكيم، وأن يبعث خادمه قبله ليمهّد له محل الراحة، فهذا عمل عقلائي.

ونفس هذا المعنىٰ لابد أن نهتم به في ما يتعلق بحياتنا الأبدية، بأن نرسل عملاً يُمهّد لنا الطريق نحو الجنة، ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. [البقرة: ٢٢٣]



٤٨ مِيْزَانُ الفَوْزِ

اتَّفق الناس علىٰ أنّ من المفاهيم المحبوبة لديهم هو مفهوم **الفوز**، لكنهم اختلفوا في ميزان الفوز ومعياره، وما يحققه، فالبعض رآه المال، وآخر اعتبره الجاه، وثالث المنصب، ورابع كثرة الأولاد...

هذا صحيح إلىٰ حدٍّ ما، لكن كل ما ذُكر مبتلىٰ بعيب مشترك، وهو أنها أمور **مؤقتة لا تتجاوز حدود هذه الحياة**، ولا ترافق المرء إلىٰ حيث مثواه في قبره، إلّا في حدود قليلة وبشروط معينة.

للقرآن الكريم معياره الواقعي للفوز، وهو بريء من ذلك العيب، وخلاصته هو أنّ:

﴿مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الفائِزُونَ﴾.

[النور: ٥٢]



٤٩ ضِدَّ اليَأْسِ

مشاكل الحياة متنوعة، بعضها من النوع الذي يتمكن المرء من تحمّله وتجاوزه من دون أن يؤثر كثيراً علىٰ وضعه، لكن بعضاً منها يجعل الحكيم حائراً لا يعرف المخرج مما هو فيه، بعضها يسلب النوم من العين، والاطمئنان من القلب، بعضها ينعكس علىٰ السلوك ليجعله غير متوازن، أو عدوانياً، أو انطوائياً، بل قد يصل بالمرء إلىٰ وادي اليأس والعزلة، وقد الانتحار!

المؤمن يُصيبه من هذه المشاكل ما يصيب الناس، ويزيد عليهم بأنه يقلق كثيراً إذا ما واقع معصية أو تجاوز حدّاً إلهياً.

ومهما أصابه القلق والخوف، **فليس له أن يسقط في غياهب اليأس من الرحمة الإلهية والمغفرة الربّانية**، إذ إنه تعالىٰ يقول: ﴿**قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾. [الزمر: ٥٣]



٥٠ مِنْ دَوَافِعِ الحَذَرِ

يتميز الإنسان بقدرته علىٰ حفظ التجارب والاستفادة منها في بناء مستقبله العلمي والعملي، من هنا كانت إحدىٰ قنوات تطوره المشهود هي التراكمات الكثيرة لتجارب الآخرين.

في الوقت الذي أدت هذه الحقيقة إلىٰ التطور، هي تدعو أيضاً إلىٰ الحذر من الوقوع في الأخطاء القاتلة، ولتفادي الكوارث المهلِكة، فقد عمل الإنسان علىٰ استحداث تخصصات للحدّ منها، فكان (الدفاع المدني) و(كاميرات الرصد والمراقبة) و(أجهزة الإنذار المبكّر) و(أجهزة استشعار الزلازل ومراقبة العواصف) وغيرها.

للآخرة أخطارها أيضاً، وهي مهلكة علىٰ نحو الخلود في ما لا يتحمله جلد البشر الرقيق.

وأيضاً كانت هنا منبّهات لتفاديها، فعليكم أن تضعوا في الحسبان: ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ...﴾.

[البقرة: ٢٣٥]



٥١ لَا تَنْتَظِرْ جَزَاْءَكَ مِن البَشَرِ

مما لا شك فيه أن الإنسان فُطر علىٰ حب الخير، ولا أقلَّ أنه يحبُّ الخير لنفسه، ولا يحب لها عطباً طرفة عينٍ أبداً، ناهيك عن أن غالبية البشر - إلّا من شذّ منهم - يحبّون الخير لغيرهم، بل نجد أن منهم من يحب الخير حتّىٰ للحيوان بل والنبات.

الإنسان أيضاً محبٌّ للسمعة الطيبة، وللمركز المرموق، فسعىٰ جهده إلىٰ **اكتساب الفضائل** التي تمهّد الطريق له نحو قلوب الناس، وكان من سبل ذلك هو الجود عليهم والتفضل بمالٍ أو تعليم أو قضاء حاجة وما شابه.

أنت أيضاً كن كذلك، **لكن لا تنتظر شكراً ولا جزاءً من أحد غير الله تبارك وتعالىٰ**، وليكن لك بأهل بيت العصمة عليهم السلام أسوة، إذ إن شعارهم كان:

﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً﴾. [الإنسان: ٩]



٥٢ تَعَجّلْ قَبْلَ الفَوْتِ

رغم أن الرويّة والتريّث وعدم الاستعجال أمور لابد منها في كثير من الأحيان، إلّا أن العجلة والمُضي قُدُماً في الأمر وعدم تأخيره أيضاً لابد منها في أحيان اخرىٰ، والذكي هو من يعرف موضع كلٍ منهما.

هل ترىٰ تأخير قطف الثمرة إذا أينعت أمراً صحيحاً؟! فماذا عن الذبول!

وهل ترىٰ أن تمضي في تنفيذ ما تمليه عليك نفسُك وأنت في قمة الغضب؟! فماذا عن الندم!

نعم، قد يختلط الحابل بالنابل، ويفقد المرء التمييز في بعض الأحيان، وقد يكون معذوراً حينها، ولكن مع وجود القاعدة الثابتة لأحد الأمرين فلا عُذر، وقد اختصر القرآن الكريم لنا المسافة وقرّب لنا الهدف حينما هدانا إلىٰ العجلة في بعض الأمور، فقال ﷻ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفاعَةٌ وَالكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. [البقرة: ٢٥٤]



٥٣ الرِّبَاْ المُحَلَّلُ

لا يوجد تاجر عاقل يطلب النقص في ماله، فالكل يعمل علىٰ الزيادة، وبشتىٰ الطرق، سوىٰ أن المؤمن يطلبه بالطريق المحلّل، وغيره يطلبه ولو بالغصب أو السرقة أو التطفيف بالميزان...

ولا شك أن من أقبح ما يمكن أن يُكتسب به المال هو الربا، فهو ينخر الإنسانية من أساسها، ويوقع الآخرين في مستنقع الديون المتراكمة، لا يختلف في ذلك الفرد عن المجتمع.

لذلك؛ فإن الله تعالىٰ حرّمه كأشدّ ما تكون الحرمة، وكان الذين يكتسبون به ﴿لا يَقُومُونَ إِلّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ المَسِّ﴾. [البقرة: ٢٧٥]

الملفت للنظر: **أن الله تعالىٰ حرّمه بين البشر، ولكنه قبله علىٰ نفسه**، بعقد منه وبوعد، حيث قال تعالىٰ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. [البقرة: ٢٤٥]



٥٤ طَلَبُ الزِّيَادَةِ

طبيعة الحياة أنها في نقصان مستمر، فعندما تتقدم في العمر فأنت في نقصان من أيامك، وعندما تنفق بعض مالك، فإنه يُصيبه النقص بحسب المقاييس التجارية، وعندما تستعمل سيارتك فأنت تستهلك من قوّتها.

قبال هذه الحقيقة، عَمِل الإنسان علىٰ تعويض خسائره المستمرة، لكنه وجد التعويض أيضاً يستلزم الخسارة! فسيارتك تحتاج إلىٰ بذل مالٍ إزاء إدامتها، ومراجعة الطبيب لإصلاح أسنانك المتآكلة تقضم جيبك أسرع من فأرة!

مما يعني **أن الإنسان ما زال محاطاً بالخسائر**.

ويبقىٰ الفائز من دون خسارة هو من يعمل مخلصاً لله تعالىٰ، إذ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾. [البقرة: ٢٦١]



٥٥ تَشَكُّلُ الفَيْضِ الإِلَهيّ

الماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة، وكذا لا شكل له، ولكنه عندما يوضع في الأواني المستطرقة فإنه يتشكل بحسب شكل الدورق الذي هو فيه، ويمكنك أيضاً أن تلوّنه كما تشاء، لكن يبقىٰ أصل الماء لا لون له ولا شكل.

العجينة الصناعية لا شكل لها، إنما تتشكّل بحسب ما يرغب من تقع هي في يده، وستطاوعه في رغبته ولن تعترض.

هكذا هو الفيض الإلهي، عام للجميع، شامل لهم، **لكن يبقىٰ علىٰ الفرد أن يفتح قلبه**، ويأتي بإنائه مفتوحاً، ولن يحصل صاحب القلب المنكوس والإناء المغلق علىٰ أي قطرة من فيض أو ماء.

هل عرفتم الآن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها﴾. [الرعد: ١٧]



٥٦ ضَابِطَةُ السَّعَادَةِ

يسـعىٰ الجميـع نحـو السـعادة، ولكنهم يختلفـون في طرق تحقيقهـا، وفي المفـردات التـي تحقّقهـا، وإن اتفقـوا عـلىٰ مفـردة منهـا، فإنهـم قـد يختلفـون في حدودهـا، وهـذا مـا يـؤدي إلىٰ حـدوث مشـاكل وعقبـات في طريـق تحقيقهـا.

العقـلاء لم يقفـوا متفرجيـن، وإنـما تعاهـدوا عـلىٰ وضـع ضوابـط للحركـة، ومهـما شرّعـوا مـن قوانـين ورتبـوا مـن جـزاءات ووضعـوا مـن عقوبـات، فإنها كلهـا تنضـوي تحـت قاعـدة عامـة وضابطـة واحـدة، وهـي ضابطـة: **الحقـوق والواجبـات**.

فلـكل واحـد مـن البـشر حقـوق لـه أن يأخذهـا، وعليـه واجبـات يلزمـه أن يؤديهـا.

هـذه الضابطـة هـي حكايـة أخـرىٰ في الحقيقـة عـن أنـه ﴿لا يُكَلِّـفُ اللهُ نَفْسـاً إِلَّا وُسْـعَها لَهـا مـا كَسَـبَتْ وَعَلَيْهـا مَـا اكْتَسَـبَتْ﴾. [البقـرة: ٢٨٦]



٥٧ المُحَاكَمَةُ الحَتْمِيَّة

يتخذ المجرمون وسائل متنوعة لإخفاء جرائمهم، والتملص من العقوبة، وقد يتغلغلون في عروق الدولة ليسيطروا علىٰ محاكمها، وسيكون القاضي حينها لصّاً معهم، والمحامي هو المجرم، وستضيع الكثير من الحقوق ﴿كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ﴾. [إبراهيم: ١٨]

رغم ذلك، **يبقىٰ المجرمون حذرين في أعماقهم** من تقلبات الدنيا، فقد يحصل أن يفقدوا حماياتهم القانونية، وقد تُسحب الحصانة عنهم لسبب ولآخر، وهذا ما يُقلق مضاجعهم كثيراً، ولكنهم علىٰ كل حال يأملون الهروب والتخفي، ﴿فَكَيْفَ إِذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾. [آل عمران: ٢٥]



٥٨ طَلَبُ الطَّيِّبِ

أمنيـة لم تتحقـق لأحـد أمـسِ ولا اليـوم، تلـك هـي **أمنيـة الخلـود**، إلّا أن الإنسـان بحـث لهـا عن بدائـل، وكان التكاثـر أحدهـا.

أنـت تسـتمر في هـذه الحيـاة بولْـدك، حيـث يحملـون اسـمك، لذلـك يسـعىٰ المتزوجـون إلىٰ الإنجـاب، ويبذلون لأجـل ذلـك - لـو تأخـر عـن موعـده الطبيعـي أو صادف وجـود خلـل فسـيولوجي - الأمـوال الطائلة.

هـم معـذورون في ذلـك، بـل هـو مـا يحكـم بـه العقـل فيهـم، إلّا أن الـذي يُـراد التنبيـه عليه هـي: ضرورة الاسـتعانة بـالله تعـالىٰ في ذلـك.

لا تطلبـوا ولـداً فحسـب، بـل اطلبـوه طيّبـاً، فـرب ولـد صـار مرضـاً عضـالاً علىٰ والديـه، ولذلـك ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾. [آل عمران: ٣٨]



٥٩ مَهْرُ نَيْلِ المَطَالِبِ

يعرف الجميع انه لا يستطيع أحد أن يحصل على عروس جميلة ما لم يبذل لها مهرها اللائق بها، وإذ اشتدّ الشوق وعظم العشق فإنه مستعد لبذل ما تطلبه ولو كان عزيزاً.

حتّى الشجرة لن تعطيك من ثمرة فؤادها ما لم تبذل لها ما تحتاجه حسب طبيعتها.

ولن تنال شهادة محترمة ما لم تسهر الليالي وتهجر اللهو والعبث.

فكل شيء تريد الحصول عليه، فلا بد أن تبذل إزاءه ثمنَهُ، والمجّان من أحلام اليقظة.

والثمن قد يكون مالاً، أو وقتاً، أو جهداً، أو غيرها.

حتّى الآخرة، لها مهرها أيضاً، ولذلك فإنكم

﴿لَنْ تَنالُوا البِرَّ حتّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾. [آل عمران: ٩٢]



٦٠ عَقْدُ بَيْعٍ مُرْبِح

التجـارة مـن المهـن المحترمـة التـي تجعـل حيـاة البـشر حيويـة، إذ إنهـا تنعـش الأسـواق وتجلـب الأمـوال، فتسـتمر الحيـاة.

في كل تجـارة عقـود مبرمـة، تكـون ملزمـة، ناهيـك عـن أن كلاً مـن البائـع والمشـتري يبتغـي الربـح لنفسـه، ولذلـك لا نجـد عاقـلاً يُقْـدِمُ عـلىٰ تجـارة خسـارة.

حياتنـا الدنيـا مـا هـي إلّا سـوق، عليـك أن تُحسـن التجـارة فيهـا، وأغلىٰ مـا تملـك مـن سـلعة فيهـا هـي نفسـك، فاخـتر المشـتري بدقـة، واعقـد الصفقـة بعقـل، وتأمـل ربحـك مـن بيعـك، وانظـر شروط البيـع ونفّذهـا.

وإن أردت عقـداً مربحـاً، **فـلا أربـح مـن عقـد تجـارة مـع الله تبـارك وتعـالىٰ**، فقـد نادانـا منـذ مئـات السـنين:

﴿يـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا هَـلْ أَدُلُّكُـمْ عَـلىٰ تِجـارَةٍ تُنْجِيكُـمْ مِـنْ عَـذابٍ أَلِيـمٍ * تُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَرَسُـولِهِ وَتُجاهِـدُونَ فِي سَـبِيلِ اللهِ بِأَموالِكُـمْ وَأَنْفُسِـكُمْ ذلِكُـمْ خَـيْرٌ لَكُـمْ إِنْ كُنْتُـمْ تَعْلَمُـونَ * يَغْفِـرْ لَكُـمْ ذُنُوبَكُـمْ وَيُدْخِلْكُـمْ جَنّـاتٍ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهـارُ وَمَسـاكِنَ طَيِّبَـةً فِي جَنّـاتِ عَـدْنٍ ذلِـكَ الفَـوْزُ العَظِيـمُ﴾. [الصـف: ١٠ - ١٢]



٦١ أُسْلُوْبُ تَرْبِيَةٍ مُتَوَازِنٍ

يعمد المتخصّصون في مجال التربية والتعليم إلىٰ أساليب متعددة لإيصال الفكرة المقصودة، وبالتالي إلىٰ تعديل السلوك نحو الأفضل، وهم بذلك يعملون علىٰ إيجاد السبل الناجعة للنفوذ إلىٰ العقل، ومنه تتم السيطرة علىٰ السلوك، وبذلك يصلون إلىٰ النتيجة المرجوة.

وإن من أهم الأساليب في هذا المجال **هو أسلوب (الترغيب) و(الترهيب) المزدوج**، وهو يعتمد عليهما للمعادلة، وأي خلل في أحد الطرفين يعني خللاً في النتيجة.

وهو الذي أمر الله تعالىٰ نبيه الأكرم ﷺ أن يبلغه لنا فقال ﷻ:

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾. [الحجر: ٤٩ - ٥٠]



٦٢ ارْتِدادُ نَتيْجَةِ العَمَلِ

من الواضح للعيان أن الإنسان مسؤول عن فعله، وأنّ عليه أنْ يتحمّل نتائج ما يصدر عنه من أقوال ومواقف، ولن يستطيع رمي أثر فعله علىٰ غيره، وعلىٰ ذلك انتظمت حياة البشر، وتم تشريع القوانين المنظِّمة لحركتهم.

في عالم الآخرة، لا يختلف الأمر كثيراً عن هذه الحقيقة في الدنيا، بل **سيكون إلصاق الفعل ونتيجته بفاعله الحقيقي أمراً لابد منه**، فلو استطاع أحد أن يتملص من هذه الحقيقة في الدنيا، فلن يُتاح له ذلك في الآخرة أبداً:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾. [الزلزلة: ٧ – ٨]



٦٣ نَدَامَةٌ عُظْمَىٰ

يميل الواحد منا إلىٰ أترابه وأصدقائه، ويقضي معهم أوقاتاً كثيرة، ويأتمنهم علىٰ أسرار خطيرة، ولا يُحسّ بمتعة الحياة من دونهم، ولا يحلو السمر إلّا بوجودهم.

لا بأس، **فالأصدقاء روح واحدة في أجساد متفرقة**.

إلا أن الملفت للنظر: أن لهم تأثيراً عجيباً علىٰ السلوك إيجاباً وسلباً، والعاقل هو من يختار منهم من يورث له السلامة والذكر الحسن والحياة الطيبة.

وأما **من لا يُحسن ذلك، فإنه سيندم كثيراً**، في وقت لا ينفع فيه الندم: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾.

[الفرقان: ٢٧ - ٢٩]



٦٤ مِنْ أَخْطَرِ الفِتَنِ

صار واضحاً لدىٰ الجميع - بعد بيانات القرآن والمعصومين عليهم السلام - أن الدنيا هي قاعة امتحان واختبار كبرىٰ، وأن الناس - فضلاً عن المؤمنين - سيواجهون الكثير من الاختبارات والفتن ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾. [الأنفال: ٤٢]

الفتن بعضها من النوع الواضح لدىٰ الجميع، بحيث يحذره الجميع، إلّا أن بعضاً منها هو من النوع الخفي، وبعضها لا يتوقع المرء كونه اختباراً لو فشل فيه لأمكن أن يجرّه إلىٰ الويل والثبور، ولذلك قد يُغفل عنه إلىٰ أن تفوت الفرصة، فتصبح غصة، وإلا فما بالك بأولادك وزوجتكَ أو زوجكِ؟!

فلنستمع كلنا لنداء الباري عزّ وجلّ:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾. [التغابن: ١٤]



٦٥ في مَهَبِّ الرِّيْحِ

المال...

من أهم الوسائل التي كانت وراء استمرار الحياة وتطورها، إذ به استطاع الإنسان أن يُسخّر أخاه الإنسان، فنقّب له الأرض، وخاض عباب البحار، وغاص في أعماق الفضاء، ويمكنك أن تُلقي ببصرك إلىٰ أي مشروع - كبير أو صغير - لتعرف محورية المال فيه.

إلا أن المال - وكما يُقال - سلاح ذو حدّين، فكما كان وراء كثير من تطورات الحياة، كان هو سبباً أيضاً في تعقيدها ودمارها وخرابها، **ومن يستعمل المال في تلك الوجهة، فإنه لن يجني منه إلّا الخسارة والندامة.**

ولذلك كان مثل البعض في إنفاقه ماله في ما لا يحل:

﴿مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. [آل عمران: ١١٧]



٦٦ لَنْ تَضُرَّ إلّا نَفْسَكَ

للشباب مشكلاتهم الخاصة، التي ربما لا ينجع في حلّها أن تتحدث معهم بالعقل والتريّث، إذ إنهم يميلون - في العادة - إلىٰ التسرع في كل شيء، علىٰ طريقة:

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ﴾. [القيامة: ٥]

هنا، نحتاج إلىٰ تنوع الوسائل، وإلىٰ خبرات متراكمة، وتجارب متعددة، لنعرف الأسلوب المناسب لعلاج مشكلة معينة عندهم.

البعض من الشباب وقع في شبهة حاصلها:

أنه **إذا التزم بصلاته وبقية عباداته، فإن رزقه سيندر بل ينقطع، وأنه إذا ترك الصلاة، واستمع الغناء، وفعل ما فعل، فإنه يرىٰ رزقه منبسطاً!**

إنْ كان لهذا الأمر من واقع! ولم يقتنع ذاك الشابُّ بكونه اختباراً، فقد ينفع معه أن يُقال له: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[آل عمران: ١٤٤]



٦٧ دَرَجَاتٌ بِعَمَلٍ

مـن الحقائـق الواقعيـة التـي نعيشـها هـي حقيقـة: **أننـا مختلفـون.**

واختلافنا لـه خلفيـات كثـيرة، كالمـال والحسـب والجـاه والعـرق واللـون وغيرهـا.

وقـد ترتبـت عـلىٰ هـذه الحقيقـة العديـد مـن النتائـج، إيجابيـة كانـت أو حتّـىٰ سـلبية - كـما في التمييـز العنـصري -.

صحيـح أننـا مـن آدم عليه السلام، لكننـا دون ذلـك اختلفنـا، فاختلفـت النتائـج، وتنـوّع السـلوك تبعـاً لذلـك.

ليـس هـذا فحسـب، بـل إن الاختـلاف في الآثـار أمـر موجـود حتّـىٰ في تعامـل السـماء معنـا، إلّا أن ذلـك لم يكـن فـرع الاختـلاف باللـون أو المـال أو مـا شـاكل، وإنـما هـو فـرع العمـل، وسـترتب عليـه درجـات عليـا عنـد الله تعـالىٰ أو دركات والعيـاذ بـالله، ولذلـك: ﴿هُـمْ دَرَجَـاتٌ عِنْـدَ اللهِ وَاللهُ بَصِـيرٌ بِـمَا يَعْمَلُـونَ﴾. [آل عمـران: ١٦٣]



٦٨ أُمْنِيَةٌ دُونَهَا عَقَبَاتٌ

يرغب أصحاب أي دين أن يتبع الناس معتقداتهم، إذ إنهم في العادة يعتقدون أن دينهم هو الحق الذي سيورث أتباعه سعادة الدارين، إلّا أن هذه الأمنية لم تخلُ من العقبات والمكدّرات، خصوصاً من أصحاب الديانات الأخرىٰ أو اللادينيين، فهم بين من يحاول جلب الأتباع معه، وبين من يدفع نحو الانفلات ونحو الاتباع المفرط للشهوات.

هداية الناس كانت هدفاً مهماً للأنبياء، والرغبة في إنقاذهم من الضلال كانت أمنية لم تتحقق لحد الآن علىٰ الوجه المطلوب، فانساق الكثير من الناس بعيداً عن الهدىٰ، وهذا ما كان يُحزن النبي ﷺ، وهو أيضاً يُحزن المؤمنين، ومن هنا فإن القرآن يُصبّر من حزن لأجل ذلك فيقول ﷻ: ﴿وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللهُ أَلّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾. [آل عمران: ١٧٦]



٦٩ أَجْرٌ مُؤَجَّلٌ

استيفاء الأجر بدون تأخير، مطلب لأي عامل، إذ لعله يقتات عليه في يومه، ولعل فرداً من عائلته ينتظر منه أن يجلب له الدواء الضروري، وحتىٰ بدون أي سبب، فإنه حقه، ويرغب في أخذه من دون مماطلة.

لعل أحدهم يقول: يُفترض بالسماء أن تتعامل معنا وفق هذا المنطق، وأن تعطينا أجرنا علىٰ ما نعمله من أعمال بالمباشر، فبعد أن تنهي صلاتك تأخذ أجرها، وعند الإفطار تستلم أجر الصوم، وعندما ترفع عينك عن الحرام وتقبض يدك عنه يأتيك من يطرق الباب ويسلّمك حقك!

في الحقيقة، **لو كانت الدنيا هي آخر المطاف، لتعقّلنا ذلك، ولو كانت هي دار الجزاء والثواب لطالبْنا به**، ولكن هذا غير صحيح، فالدنيا دار عمل بلا حساب وبلا استلام أجر في العادة، ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَمَا الحَياةُ الدُّنْيا إلّا مَتاعُ الغُرُورِ﴾.

[آل عمران: ١٨٥]



٧٠ إِرَادَةُ خَيْرٍ وَإِرَادَةُ سُوْءٍ

فرضت الثنائيات نفسها في هذا العالم بقوة الواقع، فشرق وغرب، وليل ونهار، وخير وشر، وغنىٰ وفقر، وصحة ومرض، وعافية وبلاء، حتّىٰ قطبا المغناطيس الواحد لم يتفقا، فموجب وسالب.

الثنائيات لم تتوقف عند عالم المادة، بل دخلت إلىٰ عالم المعنىٰ، فحب وبغض، قناعة وطمع، علم وجهل، نفس مؤمنة مطمئنة وأخرىٰ أمارة بالسوء...

ولتلك الثنائيات آثار علىٰ الواقع تبعاً لها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فأنت دائما علىٰ مفترق طرق، **وعليك أن تحسن الاختيار، ثم تسلك السبيل بعزم وثبات**، واستعن بما رسمه الله لك من سبيل ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾. [النساء: ٢٧]



٧١ اِزْدِوَاْجِيّةٌ

يُبتلىٰ العقل الإنساني - وما يترتب عليه من قناعات ثم سلوك معين - بالعديد من الأمراض، أخطرها **الجهل والعناد والازدواجية**، فترىٰ البعض يتدخل فيما لا علم له به، ويحاول أن يبرز فيه علىٰ أنه العالم الجهبذ، وسيعاند كثيراً لو انكشف له خطؤه، وتبقىٰ الازدواجية والكيل بمكيالين داءً مقيتاً يضرب في أعماق القلب ويرمي السلوك في متاهة لا متناهية، فتجده يحكم في شيء واحد بحكمين مختلفين، لا لشيء سوىٰ هوىٰ نفسه.

حتّىٰ في السلوك المناسب تجاه خالقه، البعض يعيش الازدواجية، خصوصاً إذا أصابه ضرر كان هو نفسه السبب في وقوعه... حقيقة صرّح بها القرآن بقوله ﷻ:

﴿وَإِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِها وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾. [النساء: ٣٦]



٧٢ تَوْقِيْتٌ وَتَنْظِيْمٌ

عمر الإنسان قصير جداً قياساً بحجم طموحاته، فلا يمكنه إدراك جميع رغباته، حتّىٰ لو أتيحت له كل الظروف الموضوعية، فإن أنفاسه تعمل في عمره عمل الريح في الهشيم.

حتّىٰ تستطيع أن تحقق أكبر قدر ممكن من أهدافك، لابد من تقسيم الوقت، ولذلك أبدع الإنسان علم إدارة الوقت ليُنقّط الخطوات ضمن المتاح من الزمن بوضوح، حتّىٰ إذا ما أتقن الفرد إدارته، رأيت منه في أيام قلائل ما لا يفعله العشوائي في سنوات.

الدين لم يغفل هذه الحقيقة، وأبدىٰ ملاحظات مهمة جداً في ما يتعلق بتقسيم الوقت حسب الحاجات الأهم فالمهم فغير المهم منها.

ومن ذلك أنه أعطىٰ أولوية للصلاة وقسّم أوقاتها بدقة، **فيلزم علىٰ المؤمن أن يجعلها من أهمِّ أولوياته**، ولذلك خاطبنا الباري ﷻ بقول:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾. [الإسراء: ٧٨]



٧٣ أُمْنِيَةٌ غَيْرُ مَشْرُوْعَةٍ

تتميز النفس الإنسانية بامتلاكها لجهاز يُمكّنها من تصوّر أشياء وتخيّلها وإن لم تكن قد رأتها من قبل، بل وإن لم يكن لها وجود في الواقع، والغول، والعنقاء، والتنين، وبحر الزئبق، وجبل الماس، أمثلة علىٰ ذلك.

كذلك تتميز بأنها دوماً تبدأ مشاريعها **بأمنية** تعمل علىٰ تحقيقها ولو بعد حين، ولا ضير في تلك الأماني ما دام لها واقع يمكن أن تتحقق فيه.

إلا أن الواقع يشهد علىٰ أن البعض - وربما الكثير - يتمنىٰ **أماني غير مشروعة**، أشبه شيء بهواء في شبك، كأن يتمنىٰ المرء أن يخلد في هذه الدنيا، أو أن يتمنىٰ أن يُصبح الرجل الأول في العالم وهو قابع تحت رداء الكسل، أو أن يتمنىٰ أن يُمرّر أخطاءه من دون حساب، فإنه ﴿لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَلا أَمانِيِّ أَهْلِ الكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾. [النساء: ١٢٣]



٧٤ أَرْبَاحٌ مجَّانِيّةٌ

يتبارىٰ التجار في السوق في تقديم أفضل ما لديهم ليكتسبوا به الزبائن، وإن تفاوتت مواصفاتهم فلا أفضل من تاجر لا يغش المشتري، ويوفيه حقه، أما ذاك الذي يعطي أكثر من المقرر، فإنك لن تجد بابه إلّا مزدحماً بالزبائن.

الإنسان فُطر علىٰ حب الإحسان، وعلىٰ أن لا يرضىٰ أن يستغلّه أحد، وشاذٌّ هو عن الطبيعة الإنسانية من ينعق وراء المخادع ويتبع المراوغ.

من جانب آخر، فإن الدوافع التي تبرر لنا الاتباع والتسليم المطلق للشريعة كثيرة جداً، ولو أراد البعض أن يتعامل وفق مبدأ الاستفادة والربح الزائد مع الدين، فهو أيضاً موجود، وباطمئنان كامل، بحيث ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾. [النساء: ٤٠]



٧٥ عَلىٰ المِحَكّ

لـدىٰ الإنسـان القـدرة عـلىٰ إخفـاء الكثـير مـن رغباتـه وشـهواته، وكتمهـا، بـل ولديـه الإمكانيـة لدفـن خوفـه في أعـماق نفسـه، وعـلىٰ أن يُظهـر خـلاف مـا يُبطـن، وعـلىٰ التلـوّن بألـف لـون!

هـذه الحقيقـة الملوّنـة تمثـل إحـدىٰ مشـكلات الحيـاة الاجتماعيـة، حيـث يحتـاج الفـرد إلىٰ فـترة زمنيـة طويلـة واختبـارات متعـددة ليعـرف دخيلـة الآخـر ثـم الاطمئنـان إليـه، ورغـم ذلـك قـد يتمكـن الآخـر مـن خداعـه إلىٰ آخـر الطريـق!

في عـالَم الديـن قـد يوجـد مـن يُحـاول التلاعـب والخداع، والقـرآن الكريـم كان ملتفتـاً إلىٰ أولئـك، لذلـك وضـع خططـاً محكمـة لاكتشـاف البواطـن، ومنهـا اختبـار مقـدار تسـليم الفـرد لأحـكام الشريعـة، بطريقـة ﴿فَـلا وَرَبِّـكَ لا يُؤْمِنُـونَ حتّـىٰ يُحَكِّمُـوكَ فِيـما شَـجَرَ بَيْنَهُـمْ ثُـمَّ لا يَجِـدُوا فِي أَنْفُسِـهِمْ حَرَجـاً مِمَّـا قَضَيْـتَ وَيُسَـلِّمُوا تَسْـلِيماً﴾. [النسـاء: ٦٥]



٧٦ إِصْلَاحٌ بَعْدَ ظُلْمٍ

يتعامل القانون مع الجريمة وفق اعتبارات معينة، حيث ينظر القانون عادة إلىٰ نوع المخالفة أو الجريمة، ويرتب أثراً مناسباً عليها.

الملاحظة المهمة: أن **القانون لا يتعامل بالعاطفة**، ولا يُلغي العقوبة لو أظهر المجرم الندم حقيقةً، بل إنه لابد أن يُنزل العقوبة به، بل حتّىٰ لو تنازل صاحب الحق، فإن القانون يُعاقب المجرم وفق قانون الحق العام، حفظاً للنظام العام من أن يعبث به المجرمون.

هو أمر جيد، حيث يضبط حركة الناس من العبثية والعشوائية والانفلات اللامسؤول.

في قانون السماء، الأمر مشابه لهذا المعنىٰ من جهة إرادة فرض الانضباط، ولكنه يختلف من جهة أنه ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [المائدة: ٣٩]



٧٧ تَعْظِيمُ اسْمِ الله عَزَّ وَجَلَّ

يستعمل الإنسان في حياته اليومية فيما يتعلق بإثبات الحق وسائل عديدة، تساعده في حفظ الوثائق وكشف الحقائق، وهي ضرورية في تنظيم شبكة الحقوق والواجبات، فَدَوَّنَ العقود، واخترع التوقيع، والختم الشخصي، وأخذ بصمة الإبهام، بل وصوّر الاتفاق، فضلاً عن إحضار الشهود.

الشريعة رضيت كل ذلك، بل أمرت بالضبط في بعض الأحيان، كما في ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾. [البقرة: ٢٨٢]

وجعلت **اليمين وسيلة لحلّ النزاع لو فُقدت الأدلة علىٰ إثبات الحق**، لكنها لم ترتض الترهل في استعمال اليمين ولا في التقليل من شأنه، ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [البقرة: ٢٢٤]



٧٨ مُعَادَلَةُ البَلَاغِ وَالعَمَلِ

أصبح واضحاً أن الشريعة المقدسة طرحت مشروعاً دينياً شاملاً لحياة الإنسان في جميع جوانبها، وأن علىٰ الإنسان أن يبذل قصارىٰ جهده في تطبيق نظريات الدين، وإعمار الأرض بما أتيح له من مواردها، علىٰ خلفية تشغيل عقله وتفعيل قدراته، وبذلك استطاع أن يصنع ما يشبه المعجزات.

أمام هذا الواقع، قد يأتي الكسول والمتواكل، ليرمي فشله علىٰ الدين، مطالباً بتدخل المعجزة للأخذ بيده إلىٰ ما يحب، وهذا ما لم يكن الله تعالىٰ ليفعله في الدنيا، ولا لينظّم الحياة وفقه، إذ هو خلاف حكمة الاختبار.

فالله تبارك وتعالىٰ ترك العمل لاختيار الإنسان وإرادته، وأما ما علىٰ الدين، فإنه ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلاغُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾. [المائدة: ٩٩]



كَرَمُ الأَخْلَاقِ

من الصفات التي كانت ولا زالت مدعاة للتكريم والاحترام هي صفة الجود والكرم، ولقد كان العرب يحترمون كريم القوم، ويُكنّون عن كرمه بكثير الرماد وجبان الكلب.

الدين أعطىٰ للكريم قدره أيضاً، وجعل له من الثواب الشيء الكثير، وذكرهم في دستوره في العديد من المناسبات، وأشار إلىٰ عدة مراتب له، من قبيل:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [الحشر: ٩]

وهناك مرتبة خفية من الكرم، **وهي مرتبة العفو عند المقدرة**، مرتبة عدم تذكير المقصّر بذنبه، عدم تعييره به، وهذه مرتبة عظيمة جداً من الكرم، ولذلك فإن النبي يوسف عليه السلام ذكر النعمة عليه بالإخراج من السجن لا من البئر، لئلّا يحرج إخوته، وهو في مقام العفو، قال تعالىٰ عزّ وجلّ حكايةً عنه:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾.[يوسف ١٠٠]



٨٠ اسْتِدْرَاجُ النِّعَمِ

يدقُّ ناقوس الضمير في محكمة الوجدان كلّما أخطأ العاقل أو عصىٰ المؤمن، فنداء القلب لا يمنعه شيء، يتجاوز الرقاب ولا يبالي بالأخطار، لأنه نداء خفي لا يسمعه إلّا صاحبه.

البعض يعمل علىٰ تكميم ذلك الصوت أو عدم الإنصات له، لئلّا يضطرّ إلىٰ ترك رغبة أو مفارقة شهوة.

قد يُزيّن الشيطان للمرء إخراس الضمير، وقد يوحي للمرء أن صوته خادع أو باطل، خصوصاً إذا رأىٰ أن النعم ما زالت تترىٰ عليه.

هنا، لو أُخرس صوت الضمير، فصوت الغيب لا يمنعه انحراف الإنسان، وعطاؤه كان ولا زال يفيض كرماً وَجوداً، فيأتي اللطف الإلهي لدقّ ناقوس الخطر صادحاً ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّىٰ إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.

[الأنعام: ٤٤]



٨١ حُدُوْدُ المَجَالِسِ

تحيط بالإنسان الكثير من المؤثرات الخارجية التي تضغط عليه بقوة؛ لتصوغ سلوكه كما هي، ولو أراد الإنسان أن يعارضها، فإن عليه أن يتسلح بالكثير من الصبر، وأن يستعدّ للكثير من التضحيات.

ومن ذلك: **ضغط الجلسات الخاصة** مع الأهل والأتراب، فإن ديمومة التواصل فيها تقتضي موافقة القوم في حديثهم، وإظهار القبول به وإن كان ساذجاً.

المجاملات مطلوبة إلىٰ حدٍّ ما، لكن **لابد أن تكون ضمن حدود العقل والعرف والشرع**، ومن حدودها:

﴿وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حتّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرىٰ مَعَ القَوْمِ الظّالِمِينَ﴾.

[الأنعام: ٦٨]



٨٢ اتّبَاعُ العَالِمِ

يحكم العقل والعرف بأن يستفيد الصغير من حكمة الكبير وتجربته في الحياة، وأن يهتدي بمعرفته إلىٰ طريق الخروج من دهاليزها، وهذا يُفرز ضرورة احترام الكبير لسنّه، ولنصيحته.

هذا الاحترام مما يُنظّم مواقع الأفراد في الحياة الاجتماعية، ويستدعي أن يكون الصغير تابعاً للكبير؛ لأن له من المعرفة ما لا يملكه الصغير، فهذا هو الأساس في الاتباع.

وهذا يعني: أنه لو كان للصغير من العلم ما لا يملكه الكبير، فعلىٰ الكبير أن لا يتردد في اتباعه في هذا الجانب، **فالعلم هو الذي يُنظّم مواقع الحياة.**

ولذلك قال النبي إبراهيم عليه السلام لعمّه آزر:

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾. [مريم: ٤٣]



٨٣ الهَدْمُ أَسْرَعُ مِنَ البِنَاْءِ

يعرف الجميع أن الإنسان يبذل الكثير من الجهد والمال والوقت لكي يبني بيتاً جميلاً متكاملاً، وأن هذه السيارة الفارهة التي تطيع أمرك بضغطة إصبع قدمك قد بذل كثيرٌ من العمّال إزاء صنعها وقتهم وجهدهم وخبرتهم. وأن الدقة مهمة جداً – مع الخبرة – لصناعة ساعة أنيقة.

وأيضاً يعرف الجميع أن هدم كل ذلك هو أسرع وقتاً وأقل تكلفة وجهداً من بنائه، ففي سويعات قليلة يمكن أن ينهدم البيت، وفي لحظة غفلة أو تهوّر، تتحول السيارة إلىٰ كومة حديد محطّم، ومطرقة صغيرة كفيلة بتحويل الساعة الجميلة إلىٰ خردة لا قيمة لها.

وبنفس المنطق، **قد يبني البعض قصر أعماله الصالحة بجهد ووقت**، ولكنه يهدمه في لحظة ضعف أمام نزوات النفس، لتكون النتيجة: ﴿وَقَدِمْنا إِلىٰ ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً﴾. [الفرقان: ٢٣]



٨٤ طَرِيْقٌ مُخْتَصَرٌ وَحَصْرِيٌّ

قالوا في الفيزياء: إن أقرب الطرق بين نقطتين هو الخط المستقيم بينهما، وهو المسمىٰ (الإزاحة)، في قبال (المسافة) التي قد توصل إلىٰ الهدف، لكنها تسلك طريقاً أطول.

العقلاء بلا شك سيختارون الطريق الأكثر اختصاراً، حتّىٰ لو كان غيره موجوداً، إذ إنهم يعرفون أن اختياره سيوفر عليهم جهداً ووقتاً ثمينين.

عُرْفاً أيضاً قالوا: إن من أراد أن يتزوج امرأة مثلاً، فعليه أن يطرق الباب، لا أن يتسور الحائط أو يسترق النظر من الشُباك... هو تعبير آخر عن ضرورة الخط المستقيم.

في عالَم الدين، **لا يوجد غير الخط المستقيم للوصول إلىٰ النجاة**، فليست إلّا (الإزاحة)، وغيرها لا يوصل إلىٰ الهدف متأخراً وحسب، بل إنه يُضل الفرد في متاهات لا نهاية لها، فالحقيقة هي: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. [الأنعام: ١٥٣]



٨٥ هُوَ عَلَيْهِ هَيِّنٌ

تمر بالإنسان مواقف وأزمات تُفقده رشده وتقلق مضجعه، وتسلب منه هناء النوم، فأنْ يأتي الدائنُ يُطالبك وأنت معدم، أو تفتقد الأمن في منزلك، أو يسرق المرض منك صحتك، أو أن لا تُرزق بولد يملأ عليك حياتك، أو يعقّك ولدك الذي كنت تتمنىٰ منه البرّ والإحسان، وغير ذلك كثير، هي مشاكل مرعبة، تُفقد الإنسان طعم الحياة.

قد تنغلق الطرق بوجهك، وقد تستحكم حلقات سلسلتها، قد يصيبك اليأس من الفرج، فهذا أمر طبيعي بحسب الموازين العادية للبشر، إذ لا نملك قوىً خارقة نتجاوز بها هذه العقبات.

في خضمّ هذه المتاهات، **علىٰ المؤمن أن يطمئن، وأن يتذكر أن أمر الله تعالىٰ هو بين الكاف والنون**، وأنه يكفيه أن يتذكر: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾. [مريم: ٩]



٨٦ الوَزْنُ الحقّ

يستخدم صاغة الذهب موازين دقيقة جداً لها القدرة علىٰ حساب حبات الذهب ولو كانت خفيفة جداً، وبذلك يضمن البائع والمشتري حقّهما، إذ تُعرف قيمة الذهب بالوزن لا بالتخمين.

لكن يمكن للصائغ أن يسرق من خلال التلاعب قليلاً في ذلك الميزان، ولن ينتبه المشتري لذلك كما هو واضح.

التلاعب بالميزان يمكن أن يشمل كل أنواع البيوع، بل يمكن أن يتعدّىٰ - مجازاً - حتّىٰ إلىٰ إثبات الحق، فالمحامي يملك من الأدوات القانونية التي يزن بها القضية فيعرف الحق فيها، ولو تلاعب في تلك الأدوات لأمكن أن يقلب النتيجة، وهذا الواقع يعني **عدم الاطمئنان إلّا مع الثقة المجرب**.

هذا حالنا في الدنيا، وأما في الآخرة فالمسألة تختلف، إذ ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ﴾. [الأعراف: ٨ - ٩]



٨٧ خَيرُ اللِّبَاْسِ

يـرىٰ كل عاقـل أن مـن المعيـب عليـه ان يُظهـر مـن جسـمه مـا يقبـح إظهـاره، وأن إظهـار العـورة هـو فعـل حيـواني، ولذلـك عمـل علىٰ صناعـة الملابـس ليتزيـن بهـا وليسـتر مـا يقبـح إظهـاره، وهـو مـا عـبّر عنـه القـرآن الكريـم بقولـه ﷻ: ﴿يـا بَنِـي آدَمَ قَـدْ أَنْزَلْنـا عَلَيْكُـمْ لِباسـاً يُـوارِي سَـوْآتِكُمْ وَرِيشـاً﴾.

هـذا بالنسـبة لظاهـر الإنسـان، إلّا أن هنـاك صفـات باطنيـة لـدىٰ الإنسـان، تنعكـس عـلىٰ سـلوكه الخارجـي، والتـي تظهـر عـلىٰ فلتـات لسـانه وتقاسـيم وجهـه وتفاصيـل أفعالـه، وبعضهـا جميـل حسـن لابـد مـن إظهـاره، ولكـن بعضهـا صفـات قبيحـة، لابـد مـن سـترها أيضـاً، لكـن مـا هـو السـاتر لهـا والمانـع لهـا مـن الـبروز عـلىٰ ظاهـر الإنسـان؟

إنه ما قاله تعالىٰ: ﴿وَلِباسُ التَّقْوىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾. [الأعراف: ٢٦]

كلا السـاترين يعمـل الشـيطان عـلىٰ سـلبهما مـن الإنسـان، فليحـذر المؤمـن مـن تسـويلاته، فقـد حذّرنـا البـاري ﷻ بلسـان صريـح فقـال: ﴿يـا بَنِـي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُـمُ الشَّـيْطانُ كَـما أَخْـرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الـجَنَّةِ يَنْـزِعُ عَنْهُما لِباسَـهُما لِيُرِيَهُـما سَـوْآتِهِما إِنَّـهُ يَراكُـمْ هُـوَ وَقَبِيلُـهُ مِـنْ حَيْـثُ لا تَرَوْنَهُـمْ إِنَّـا جَعَلْنَـا الشَّـياطِينَ أَوْلِيـاءَ لِلَّذِيـنَ لا يُؤْمِنُـونَ﴾. [الأعـراف: ٢٧]



٨٨ تَدَيُّنٌ أَمْ رَهْبَنَةٌ

كيف يكون الإنسان متديناً؟ كيف يتجلىٰ الدين فينا؟

قد يتخيل البعض أن الدين يقتضي أن يقبع الفرد في بيته متخذاً منه مسجداً، وأن يترك التمتع بملذات الدنيا... الدين عنده بمعزل عن الحياة، وإن رآك تزيّنتَ بملبس أو تلذّذت بمطعم، رماك بالطامع بالدنيا الزاهد بالآخرة!

فهل الدين كذلك؟! وهل فعلاً يُريد منا أن نعيش رهباناً نقطن الصوامع؟!

يحق لأحدهم حينها أن يرمي الدين بالتخلف وبالوقوف في وجه الحضارة، ومن حقّه أن يثور علىٰ الكنيسة والصومعة!

الحقيقة أن الدين لا يريد بشراً متوحّشين، لا يريد منّا أن نتنسك إلىٰ حدّ التضييق علىٰ النفس، هو فقط يُريد منا أن لا نتجاوز حدود الشرع والعقل، وبعدها هو يدعونا للتمتع بملاذّ الدنيا المحللّة فيقول: ﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. [الأعراف: ٣١ - ٣٢]



٨٩ تَأْدِيْبٌ إِلَهِيٌّ

يعمد المُربّون عادة إلىٰ استعمال طرق متعددة للتربية، تتناسب مع الهدف المنشود لهم.

أسلوب إثابة السلوك الإيجابي والمؤاخذة علىٰ السلبي هو أسلوب يهدف إلىٰ دفع الشخص إلىٰ أن يُحكّم عقله ليختار ما يرجع لنفسه بالخير، فحبُّه لنفسه يدفعه لذلك في العادة.

العملية أشبه بالتلميذ في المدرسة، حيث يتم تذكيره بأنه سيحصد ما يُقدم، وأن بذله لجهد إضافي يرجع عليه بالخير والنجاح، والعكس بالعكس.

نظير هذا الأسلوب استعمله القرآن الكريم مع البشر، حيث رأىٰ أنه **من الممكن أن يدفعهم نحو التفكير مليّاً قبل الإقدام علىٰ فعل معين**، إذ إن أثره سيرجع إليهم اليوم أو غداً، وهذا ما يُشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. [الأعراف: ٩٦]



٩٠ حَصَادُ التَّعَبِ

تعمل أنظمة التربية والتعليم الناجحة علىٰ مكافأة الطالب المجتهد، من خلال تقديم تسهيلات له، كالإعفاء العام، وعبور مرحلة، وتقديم منح مادية، وإعطاء مقاعد دراسية في الجامعات المرموقة، وما شابه.

هذا أسلوب مُشجّع ورائع، إلّا أنه لم يكن بالمجّان بالمرّة، وإنما هو فرع عملٍ مبذول من ذلك الطالب أخذ من وقته وجهده الشيء الكثير، وأما الكسول فلن يحصل حتّىٰ علىٰ خُفّي حُنين!

الآباء الناجحون أيضاً لهم أن يستعملوا هذا الأسلوب.

الشرع جرىٰ مع العباد مجرىٰ العقلاء في المكافأة وتقديم التسهيلات، بشرط بذل الجهد، لذلك ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾. [النساء: ١٧٣]



فُرْصَةُ تَصْحِيْحٍ

تعتمد الدول نظاماً تربوياً مزدوجاً، يثيب المجتهد بتقديم فرص نافعة له، وفي نفس الوقت يفتح أفق الأمل له أمام من لم يُحالفه النجاح لكسل أو لظرف قاهر.

أمر جميل ومُربّي أن تقوم المدرسة مثلاً بإعطاء فرصة لتصحيح الموقف، ولسلوك طريق النجاح، وهو قد يكون من خلال إعطاء درجة عامة للجميع، أو من خلال إتاحة الفرصة مرة أخرىٰ لإعادة الاختبار، أو غيرها من الطرق.

إلا أنه جميل ونافع لمن يُحسن كيف يستثمر الفرصة، ولا يدعها تذهب عنه أدراج الرياح، وهذا لا يكون إلّا مع عزم إرادة جادة للنهوض بعد السقوط.

غير معصومين نحن... مرشّحون للوقوع في الخطأ... إلّا أننا أيضاً **دُعينا لتصحيح الخطأ، وتقويم السلوك، وتدارك الأمر**، فليكن نُصب أعيننا دوماً: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[الأعراف: ١٥٣]



٩٢ إِكْمَاْلُ خُطُوَاْتِ المَنْهَجِ

الوصول إلىٰ هدف عظيم قد يستغرق وقتاً طويلاً ويستهلك جهداً كبيراً من الإنسان، ومهما بذل من وقت وجهد فإنه إن لم يُكمل الطريق إلىٰ آخره وكما ينبغي، فإنه لن يصل إلىٰ الهدف.

لاحظوا الطالب المجتهد طول السنة، إن لم يُتقن إجابة اسئلة الاختبار الأخير، فسيُحكم عليه بالفشل.

الطائرة لن تنجح بمجرد إقلاعها، فنجاحها الحقيقي يتحقّق بهبوطها بسلام عند المقصد.

هكذا نحن في سفرنا إلىٰ الآخرة، **لا تكفينا الخطوة الأولىٰ**، بل لابد من إكمال المنهج بدءاً من الاعتقاد فالعمل، ثم الحفاظ علىٰ هذا المنجَز إلىٰ آخر لحظة في الحياة، ولذلك **حذّرنا القرآن بذكر قصص بعض الذين بدأوا الطريق**، ولكنهم لم يُكملوه، فقال تعالىٰ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾، فلماذا لم يحصل ذلك؟ إنه بسبب: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

[الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦]



حِصْنُ المُؤْمِنِ ٩٣

من أول يوم خُلق أبونا آدم، وإبليس أعلن عداوته له ولذريته، وبيّن بكل صراحة سعيَه لإغوائنا بطريقة وبأخرىٰ، مستغلاً ضعف إرادتنا تارةً، ونسياننا لما يؤول إليه اتباعه من مصير لا يرغب فيه عاقل تارة أخرىٰ.

البعض منا ينسىٰ هدفه النهائي، وينسىٰ عداوة إبليس له، وقد يُسْلِمُ قياده له من دون شعور، إلّا أنه رغم ذلك ما زالت الفرصة سانحة للهروب من قبضته، فمهما كان إبليس فهو لا يسلبنا إرادتنا ولا يُغلقُ علينا اختيارنا، فما زال لدينا العقل الذي يُمكنه أن يقود الإنسان نحو بر الأمان حيث رضا الرحمن واكتساب الجنان، وما لإبليس إلّا الوسوسة والدعوة إلىٰ الباطل.

ليست معركة سهلة كما قد يتوقع البعض، إنما هي كرٌّ وفرٌّ معه، ولابد من متكئٍ نستريح إليه ونتقوىٰ منه.

وتذكّرُ الآخرة، تذكّرُ الله تعالىٰ ورحمته وغضبه، تذّكرُ أنّ إبليس لا يبغي لنا خيراً، نافع جداً في هذا المجال، ولذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾. [الأعراف: ٢٠١]



٩٤ اخْتِبَارٌ خَفِيٌّ

تؤكّد الإحصاءات الاجتماعية أن الفرد لن يعيش حياته بانسيابية تامة، وإنما لابد أن يواجه تلكّؤات وعقبات في طريقه، وهي تختلف من شخص لآخر، ومن وقت لآخر، والواقع خير شاهد.

تلك المنغّصات تلونت بألوان مختلفة، وبينما تجد بعض ألوانها بارزاً للعيان، بحيث يتمكن الفرد من الإفلات من قبضتها بطريقة وبأخرىٰ، يُخفي بعضٌ منها نفسَه حتّىٰ كأن الفرد يظن أنه مرسىٰ أمان أو برَّ خلاص.

الإنسان عادة ما يستعين بغيره ليتخلص من عقبات الطريق، وهذا أمر عقلائي، إلّا أن المفارقة تكمن في أن بعض من تظنُّ أنه سيساعدك، يكون في واقعه أداة من أدوات الاختبار ومنحىً من مناحي العقبات، لذلك ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. [الأنفال: ٢٨]



٩٥ كَاْشِفُ الطَّرِيْقِ

لا تستطيع أن تقود سيارتك ليلاً من دون مصابيح تنير لك حالِكَ الدروب، ولن تستطيع الباخرة أن تخوض غمار البحار من دون بوصلة ترسم لها طريق الخروج من متاهاتها، والطائرة لن تصل إلىٰ مقصدها من دون طريق مرسوم يتبعه الكابتن بكل دقّة.

هكذا هي الحياة، متشعبة الطرق، مظلمة السبل، ولن يتمكن الفرد من الوصول إلىٰ منجىً من دون كاشف دقيق.

ماذا عن طريق الآخرة وخوض غمار المعركة مع النفس والشيطان وفتن الدنيا؟!

هل من ضوء يكشف له الطريق؟!

لنستمع سوية لنداء الحق حيث يقول عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[الأنفال: ٢٩]



٩٦ نُفُورُ النِّعَمِ

يجاهد المرء في حياته ليحصل علىٰ ما به يُقيم صلبه ويتنعّم في حياته ويوسّع علىٰ عياله، هو في ذلك مقاتل من الطراز الأول إن كان هدفه إنسانياً ولم يخرج عن حدود العقل والشرع.

المعركة لا تنتهي بمجرد الانتصار وتحقيق شيء من الأهداف، فهناك معركة أشرس من الأولىٰ تهدف إلىٰ الحفاظ علىٰ المكتسبات، خصوصاً وأن (النِّعَم) خيل شموس لا تُسلم ظَهْرها بيُسر، ولا ترضخ لسائسها بسهولة، فيحتاج المرء إلىٰ خطط محكمة وعمل دؤوب ليُحافظ عليها من أن تهرب من بين يديه.

بداية الخسارة تبدأ من تغيّر التوجّه النفسي لتلك النعم، والتعامل معها بطريقة خاطئة تؤدي إلىٰ إفلات لجامها من اليد، ونفورها إلىٰ حيث لا رجعة!

أتدرون لماذا؟

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [الأنفال: ٥٣]



٩٧ اخْتِبَارٌ مِفْصَلِيٌّ

تؤكد النصوص الدينية - والواقع يشهد - علىٰ أن هذه الحياة هي أشبه بقاعة امتحان كبرىٰ، وأن الامتحان والاختبار تزداد صعوبته طرداً مع ازدياد إيمان الفرد، وأن الاختبارات فيه منوعة، وفي بعض الأحيان غريبة، تبدأ من حب الفرد لنفسه، إذ ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، مروراً بإبليس وطرقه الملتوية والتي تصل إلىٰ استعمال حتّىٰ العبادة كشباك للإيقاع بالمؤمن، حين يرائي فيها أو يُعجب بها، وصولاً إلىٰ الظروف الخارجية المحيطة التي تضغط علىٰ المؤمن بحيث يُصبح تمسّكه بدينه كخرط شوك القتاد أو القبض علىٰ جمرة!

علىٰ المؤمن أن يكون فطناً، كيّساً، قوياً في ذات الله تعالىٰ، يُحسن أداء الاختبار، وينتبه لخباياه وخفاياه، إذ فيها يكمن الفشل أو النجاح، ولذلك حذّرنا الباري ﷻ فقال:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. [التوبة: ٢٣]



٩٨ مَرْجِعِيَّةُ التَّخَصُّصِ

في هـذا الكـون العديـد مـن السـنن والقوانـين التـي تتكاتف في مـا بينهـا مكوّنـة شـبكة مـن الأنظمـة المتحكمـة بـه، والتـي توفـر منهجيـة منضبطـة لاسـتمرار الحيـاة بانسـيابية ممكنـة.

ومـن تلـك السـنن: أن الإنسـان لم يسـمح لـه عقلـه ولا وقتـه أن يتخصـص بـكل مجـالات الحيـاة، الأمـر الـذي اسـتدعىٰ تقسـيم العمـل بـين أفـراد البـشر، عـلىٰ شـكل مجاميـع، تتكفـل كل مجموعـة منهـا بتخصـص معـين، وتتعـاون فيـما بينهـا بطريقـة تبـادل المنفعـة.

بهـذه الطريقـة اسـتطاع الإنسـان اختصـار الوقـت والجهـد، وحصـل عـلىٰ نتائـج خـبرات متراكمـة، أدّت إلىٰ تطـور الحيـاة.

الديـن أيضـاً لابـد فيـه مـن متخصـص، وحيـث لم يُتـح للجميـع ذلـك، فقـد علمنـا ضرورة وحكمـة قولـه تعـالىٰ:

﴿وَمـا كانَ الـمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِـرُوا كَافَّـةً فَلَـوْ لا نَفَـرَ مِـنْ كُلِّ فِرْقَـةٍ مِنْهُـمْ طائِفَـةٌ لِيَتَفَقَّهُـوا فِي الدِّيـنِ وَلِيُنْـذِرُوا قَوْمَهُـمْ إِذا رَجَعُـوا إِلَيْهِـمْ لَعَلَّهُـمْ يَحْـذَرُونَ﴾. [التوبـة: ١٢٢]



٩٩ التَّوَاصُلُ المَصْلَحِيّ

يعرف الجميع أن هناك من يتعاملون مع الآخر وفق مصالحهم الشخصية، فأنت تجد بعض الناس من أرحامك وأصحابك مَن لا يذكرونك إلّا إذا صارت مصلحتهم عندك، حينها، سيرنّ هاتفك باستمرار، وسيمتلئ بيتك بالزوار، حتّىٰ إذا ما انقضت حاجتهم، وانتهت مصلحتهم، قطعوا حبل الوصال، وكانوا كمن ركب سيارة أجرة، وهجرها بعد الوصول إلىٰ المقصد.

قد ينخدع أحدنا بهذا السلوك المصلحي مرة أو مرتين، لكنه سينتبه بعد عدة تجارب، وسيتخذ فيما بعد مع أولئك المصلحيين الإجراء المناسب، والذي قد يؤدي إلىٰ إيصاد الباب إيصادَه علىٰ مُحارب!

البعض - وللأسف - هكذا يتعامل مع الباري ﷻ، يتجاوب ويتواصل مع ربه ﷻ إذا أجدبت أرضه، وفرغ كيسه، طمعاً بما عنده، ولكنه يقطع ذاك التجاوب ما درّت معيشته واعشوشبت أرضه! بحيث إنه ﴿وَإِذا مَسَّ الإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [يونس: ١٢]



١٠٠ دَعْوَةُ سَلَامٍ

ترفع القوىٰ الكبرىٰ في العالم اليوم - وأمس - شعارات برّاقة، كرعايتها لأمن العالم، وسعيها لنشر السلام، ودفاعها عن المظلوم، ووقوفها ضد الظالم...

هي شعارات خلّابة، تأخذ بلُبّ القلب.

إلّا أن العين - يصدّقها الواقع - تجد خلاف ذلك، فإن تلك الدول أضحت تتلاعب بمقدرات الشعوب بخيوط خفية، لتجد أن الدمار وغلاء الأسعار والقتل والخداع هي نتائج دعواتها تلك، ولم نلمس لليومِ من شعاراتها غير الصدىٰ الموجع للآذان والمضيِّع للحقائق.

هم **يدعون في الحقيقة إلىٰ الفوضىٰ، فهذا ما يخدمهم**، فالحاجة إلىٰ التسلط، والحاجة إلىٰ ثروات الآخر، هي هدفهم.

هكذا هم البشر، إذا ابتعدوا عن العقل والشرع، ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَىٰ دارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[يونس: ٢٥]



١٠١ شُرُوْطُ الأَمَاْنِ

الخـوف مـن المجهـول والمسـتقبل، أحـد أهـم عوامـل القلـق لـدىٰ البـشر، لا يملكـون أمامـه سـوىٰ اللجـوء إلىٰ مواطـن أمـان مُعيّنـة، كادّخـار الأمـوال، وإنشـاء علاقـات مـع ذوي النفـوذ، وإحـكام قفـل البـاب! وأمثالهـا.

رغـم كل الإجـراءات الاحترازيـة، **يبقـىٰ في داخـل الإنسـان خـوف مـن مسـتقبلٍ مـن نـوع آخـر**، إنـه مسـتقبل مـا بعـد المـوت، فـما هـو مصـيري؟ وكيـف سـيكون منـزلي؟ هـل هـو الفنـاء؟! أو حيـاة أخـرىٰ أحتـاج فيهـا إلىٰ مواطـن أمـان؟! ولـو كانـت هنـاك مواطـن أمـان، فهـل هـي متاحـة لـكل مـن ولـجَ ذلـك العـالم، أو إن الحصـول علىٰ تأشـيرة اطمئنـان مـشروط بـشروط؟

تعالـوا نسـتنطق القـرآن الكريـم في ذلـك، حيـث يُجيـب بالقـول: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيـاءَ اللهِ لا خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلا هُـمْ يَحْزَنُـونَ * الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَكانُـوا يَتَّقُـونَ * لَـهُمُ الْبُـشْرىٰ فِي الْـحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِـرَةِ لا تَبْدِيـلَ لِكَلِـماتِ اللهِ ذلِـكَ هُـوَ الفَـوْزُ العَظِيـمُ﴾.

[يونس: ٦٢ - ٦٤]



١٠٢ لَا هِدَايَةَ بِلَا اخْتِيَارٍ

ما هي مهمة الدين؟ وما هي وظيفته اتجاهنا؟

قد يتوهم البعض أن علىٰ الدين أن يقوم مقام الفرد في أفعاله، فيجلس الفرد متكئاً علىٰ أريكته، والدين يوظّف النبي أو الإمام لينجز له جميع مهامه، حتّىٰ إذا ما وقع الفرد في معصية أو خطأ، رمىٰ بوزر ذلك علىٰ الدين، واتهمه علىٰ نفسه، وأنه لماذا لم يهدني الدين أو لم يجبرني ربي الطاعة، وأنه لماذا أصلاً أُتيحت لي فرصة المعصية؟!

توقف رجاءً!

هذه تسويلات النفس ووساوس الشيطان، بل هي عصا الكسلان، فلا يوجد قانون في الدنيا يفعل ذلك، والدين رسم لك الطريق نحو الهدف، أما المسير وقطع المسافة، فهو عليك لا علىٰ غيرك، ألم تسمع قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾. [يونس: ١٠٨]



١٠٣ اسْتِيْفَاءٌ فِي غَيرِ مَحَلِّهِ

كل عامل يرغب أن يستوفي أجر عمله كاملاً قبل أن يجفّ عرقه، وله كل الحقّ في ذلك، فإن عمله محترم، وله قيمته الخاصة.

البعض يعمد إلىٰ ادّخار بعض وارداته ليوم الحاجة أو الشدّة، ويتخذ عدة طرق لأجل ذلك، كالتأمين في البنك، أو عند ثقة، أو في خزينته الخاصة. هذا بالنسبة للأعمال الدنيوية، وفي تعاملات بعضنا مع البعض الآخر.

ماذا عن العمل مع الله تبارك وتعالىٰ؟

لا شكّ أن له أجراً وعدنا الله عز وجل به.

المفارقة هنا: أن الله تعالىٰ جعل الدنيا دار عمل بلا حساب، وأجّلَ إعطاء الأجر إلىٰ يوم القيامة، فينبغي للمؤمن أن يثق بوعد الله تعالىٰ وأن يطمئنّ به، وأن يعمل لما عنده ﷻ، وأمّا ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ. أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلّا النّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[هود: ١٥ – ١٦]



١٠٤ خَطَرُ الرُّكُوْنِ إِلىَ الظَّاْلِم

شاء الله تبارك وتعالىٰ أن يجعل الدنيا دار اختبار وامتحان، وشاء أن يكون الإنسان مختاراً في إرادة أي طريق شاء، بعد أن بيّن له السبل، حتّىٰ لا تكون للمخالف حجة يحتجّ بها يوم القيامة.

الانحراف منه واضح للعيان، لكنّ منه خفياً قد ينخدع به المرء، وإن إبليس لا يُريد من الجميع أن يكونوا فراعنة أو أمثال أبي لهب، وإنما هو يكتفي بمتعبِّد مرائي أو مُعجب بعبادته، يمنّ بها علىٰ ربه، فيكون ظاهر عبادته أنيقاً، لكنها خاوية في جوهرها وحقيقتها.

لذلك، فإنه **قد يكتفي بمنافق يُظهر عداوة الظالمين، لكنه يرضىٰ بأفعالهم**، ويحب طول بقائهم، لأنه يحصل منهم علىٰ ما يُشبع نهمه وشهواته.

القرآن الكريم حذّر من هذه الحالة، فقال:

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾. [هود: ١١٣]



١٠٥ حِفْظُ صَفَاءِ الأُخُوَّةِ

ربما لا نجد علاقة قوية الارتباط في الدنيا كعلاقة الأخوة النسبية، إذ يشدّ الإخوة أزر بعضهم، ويتكؤون في الشدائد علىٰ بعضهم، وكلنا يرىٰ بأم العين كيف أن الناس تهاب الإخوة الكُثُر.

رغم قوة هذه العلاقة، إلّا أنها لم تسلمْ من المنغّصات، ولم يقف الشيطان دون أن يعمل علىٰ زرع بذور الخلاف بين الإخوة، وقد يُحمي ميسمه فيهم ويجعل قلوبهم تغلي كالمرجل فيما بينهم، فيقتل بعضهم بعضاً! وقصة ابني آدم واضحة المعالم في ذلك.

لذلك، كان **من المفترض بالآباء أن يعملوا علىٰ تحصين أولادهم** مما من شأنه أن يُفرّق بينهم، أو يجعل بعضهم يحقد علىٰ بعض، لذلك فإن النبي يعقوب عليه السلام:

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. [يوسف: ٥]



١٠٦ كَالقَابْضِ عَلىَ جَمْرَةٍ

جهـاد مريـر، ومسـتمر، يخوضـه المؤمـن مـع عـدة أطـراف تحـاول إغـواءه: نفسـه التـي هـي أحـبُّ الأنفس إليـه، الشـيطان، زخـارف الدنيـا، الظـروف المحيطـة، كلهـا تتعـاون فيـما بينهـا للإيقـاع بـه في وحَـل المعصيـة.

كيـف إذن يتمكـن المؤمـن أن يُخلِّـص نفسـه مـن هـذه القواضـم لإيمانـه والسـاعية لسرقتـه منـه؟!

لا شـك أن عليـه أن يتّبـع خططـاً متقنـة، وينفّذهـا بدقـة، ويصـبر علىٰ مرارتهـا، ويُضحّـي بالكثـير مـن رغباتـه، ليصـل إلىٰ خـطّ النهايـة فائـزاً مفلحـاً، وعليـه في هـذا المجـال أن يتمسـك بأمريـن مهمـين: **الابتعـاد عـن مواطـن قـوة قواضـم الإيـمان، والتـي يضعـف فيهـا العقـل في العـادة، وأن يطلـب الإعانـة مـن ذي القـوة المطلقـة ليعينـه علىٰ التصـدي لذلـك**، وهمـا مـا طلبهـما النبـي يوسـف عليه السلام حين ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾. [يوسف: ٣٣]



١٠٧ الاسْتِفَادَةُ مِنَ التَّجَارِبِ

ما عاقل من عثر بحجر مرتين.

كلمة نردّدها لو رأينا شخصاً يقع في نفس الخطأ مرتين، إذ المفروض أنه حفظ الدرس جيداً من المرة الأولىٰ، وكان ينبغي له أن يُشغّل عقله في الدروس المشابهة.

في الحقيقة، أن **التجارب قناة معرفية ضخمة**، تفيد الإنسان في تحديد نوع سلوكه المستقبلي في الحالات المشابهة، وأن الاستفادة منها إحدىٰ علامات العقل والرشد.

التجارب جُعبة ضخمة من النتائج الجاهزة لأناس خاضوها، ففشلوا فيها أو نجحوا.

من هنا تجد أن النبي يعقوب عليه السلام:

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[يوسف: ٦٤]



١٠٨ سُلَّمُ نَجَاْحٍ

يبحث الناس في هذه الحياة عن أسباب واقعية تساعدهم على الوصول إلى قمة النجاح: طلب العلم في مختلف التخصصات سبب، التجارة سبب آخر، العلاقات سبب ثالث، الجِدُّ وترك الكسل والتواكل رابع، وغيرها كثير.

إلا أن هذه الأسباب تبتلي بأنها لا توصل دوماً إلى الهدف المنشود، وإنما قد تسلك بصاحبها إلى ضد ما يطلب، فربما ترى شخصاً هو الأعلم في تخصّصه، لكنه مغمور ولا أحد يعرفه، وتاجراً مُجِدّاً في عمله والخسائر تلاحقه...

الدين قَبِل كل هذه الأسباب، وأمر أتباعه بانتهاجها، لكنه أكملها بشرطين أساسين يمثلان ضمان النجاح، إنْ في الدنيا أو في الآخرة، وهما:

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[يوسف:٩٠]



١٠٩ الفَرَجُ عَلىَ اليَأْسِ

تتشابك الأحداث علىٰ البعض وتتعقّد حتّىٰ يظن أنْ لا مخلص منها، تتراكم الديون وتحيط بالمرء، يطلبه السلطان، يبحث عنه الغرماء، يُصيبه مرض عُضال، يملّه حتّىٰ أولاده، يتمنىٰ المرء مع هذه الهموم الموت، ويدعو أنْ لو لم تلده أمه، ولم يكن شيئاً مذكوراً!

في خضمّ هذه التداعيات، قد تنفتح أبواب السماء عليه برحمة منهمرة، فيُسقط الدائن عنه دينه، ويموت السلطان، ويُشفىٰ من المرض، ويرجع إليه ما رجع لأيوب الصابر عليه السلام...

هذه هي حبكة مسرحية الحياة، مدٌّ وجزرٌ، يوم لك ويوم عليك، **والعاقل هو من يُحسن أداء الدور في موضعه، لئلّا يقع في المصيدة**، فمهما صعبت، وضاقت حلقاتها، وتشابكت خيوطها، فإن الفرج آت لا محالة، تماماً كما أنه ﴿**حَتّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾. [يوسف: ١١٠]



١١٠ مَصْدَرُ اطْمِئْنَانٍ

مخاوف الإنسان في هذه الحياة كثيرة، كالخوف من المرتفعات، ومن التحدث أمام الناس، ومن المجهول، ومن الأمراض، ومن المستقبل، وغيرها.

الخوف يُفقد الإنسان السيطرة علىٰ تفكيره، ولعله في بعض مواضعه ينسىٰ حتّىٰ اسمه، وهو من هذه الجهة يبحث عمّا يُهدّئ روعه، ويزيل الخوف عنه، أو علىٰ الأقل يُقلّل من منسوبه.

قد يجد البعض اطمئنانه في جمع الأموال، لكن المال أثبت جدارته في سرعة إباقه عن صاحبه، لُيبقيه يُقلب كفيه علىٰ ما أنفق من عمره من أجله، وقد يتخيل البعض أن اطمئنانه يكون عند السلطان، إلّا أنه كالأسد، لا تعرف في أي لحظة ينقضّ علىٰ صاحبه.

ماذا لو لم يكن عندك مال ولا سلطان ولا أولاد، هل من مصدر أمان؟!

ليس لنا إلّا أن نكون كأولئك ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. [الرعد: ٢٨]



١١١ حَيَوِيَّةُ التَّوَازُنِ

في عالم الهندسة، يبذل المهندس جهده ليكون دقيقاً في إعطاء **القياسات المنضبطة** التي تحفظ للبناء توازنه، وأي خلل في ذلك قد يؤدي إلىٰ كارثة.

الطبيب يدقّق كثيراً في ما يحتاج إليه المريض من أدوية، ويوازن بين حاجته هذه وبين تأثيرات العلاج الجانبية علىٰ الأعضاء السليمة، **ليخرج بأقل الخسائر الممكنة**.

أنت، لابد لك من توازن منهجي بين ما يرد إليك من أموال وما تصرفه منها، والخلل في هذا التوازن يؤدي إلىٰ وقوعك في مغبة الديون.

فلابد من التوازن التام لتستمر الحياة بانسيابية ممكنة.

الدين أيضاً أكّد علىٰ هذا المبدأ، خصوصاً فيما يتعلق بالتوازن بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة، علىٰ قاعدة:

﴿وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الفَسادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾. [القصص: ٧٧]



١١٢ شَمَاتَةُ إِبْلِيْسَ

قـد تقـع في مشـكلة، قـد تخسر أموالـك، قـد تفقـد وظيفتـك، سـتتألم كثـيراً، لكنـك لـو وجـدت إلىٰ جنبـك من يُصـبّرك، ويواسـيك، فـإن ألم الفقـدان سـيخفّ كثـيراً بـلا أدنـىٰ ريـب.

لكـنْ تصـور لـو أنـك في سـاحة المعركـة، حيـث العـدو قريـب جـداً منـك، وحيـث إنـك تحتـاج إلىٰ ركـن شـديد تـأوي إليـه، وإذا بالطعنـة تأتيـك مـن خلفـك! ممّـن؟! مـن حليفـك! ممـن عقـدت معـه المواثيـق علىٰ النـصرة! لا شـك أن ألم تلـك الطعنـة سـيكون أشـد مـن ضرب العـدو.

بعيـداً عـن سـوح القتـال، **البعـض يعقـد وثيقـة تعـاون مـع إبليـس، ولـو مـن دون أن يشـعر**، وربـما يبقـىٰ غافـلاً مـدىٰ الحيـاة!

أتدرون متىٰ سينتبه؟!

إنـه في يـوم يُعـرض علىٰ ربـه، ﴿وَقـالَ الشَّـيْطانُ لَـمَّا قُـضِيَ الأَمْـرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُـمْ وَعْـدَ الحَـقِّ وَوَعَدْتُكُـمْ فَأَخْلَفْتُكُـمْ وَمـا كانَ لِي عَلَيْكُـمْ مِـنْ سُـلْطانٍ إِلّا أَنْ دَعَوْتُكُـمْ فَاسْـتَجَبْتُمْ لِي فَـلا تَلُومُـونِي وَلُومُـوا أَنْفُسَـكُمْ ما أَنَـا بِمُصْرِخِكُـمْ وَما أَنْتُـمْ بِمُصْرِخِـيَّ إِنِّي كَفَـرْتُ بِـما أَشْرَكْتُمُـونِ مِـنْ قَبْـلُ إِنَّ الظّالِمِينَ لَـهُمْ عَـذابٌ أَلِيمٌ﴾. [إبراهيم: ٢٢]



١١٣ إِمْهَالٌ لِيَوْمٍ شَدِيْدٍ

تعصف **ريح الظلم** بالكثير من الناس، تسلب منهم استقرارهم النفسي، وتُبعد الولد عن والده، وتجعلهم يحنّون إلىٰ الأمان.

استلاب الحقوق صار ظاهرة، والسجون تئنّ بمظلومين خُلطوا بمجرمين، والظلم انتشر حتّىٰ كأنك لا ترىٰ مرتاحاً، حتّىٰ إن بعض الزوجات أضحت حبيسةَ سجنٍ لجبار عنيد!

هنا، قد يتطرق تساؤل إلىٰ قلب مؤمن: **أين عدالة الله تعالىٰ**؟! أليس الله تعالىٰ هو القادر علىٰ كل شيء؟ أوليس أمره بين الكاف والنون؟ أوليس هو الحاكم الذي لا تضيع عنده الحقوق؟

تساؤل ينمّ عن تجرّع لغصص الظلم، ويحكي عن رغبة بالانتقام المعجَّل، ولعله **لو أتيح لنا الأمر فلربما لا نُبقي عليها باقية**، ويبقىٰ القرآن يُصبّر المظلومين ويُنذر الظالمين، فيقول ﷻ:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصارُ. مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ﴾. [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣]



١١٤ مِضْمَارُ التَّنَافُسِ

لكـي تقتنـع ببعـض المفاهيـم، تحتـاج إلىٰ اسـتدلالات علميـة مطوّلـة، وإتقـان علـوم متعـددة، إلّا أن بعضـاً منها لا يحتاج إلىٰ أكثـر مـن مطالعـة الواقـع بعـين الإنصـاف، ليرفـع المفهـوم لـك عَلَمَـه معلنـاً بوجـوده.

ومـن هـذا الأخـير هـو **التنافـس في الحيـاة**، الـذي جـاء عـلىٰ خلفيـة قلّـة الفـرص المتاحـة إزاء الرغبـات المتزايـدة بـل اللامتناهيـة.

النـاس يتنافسـون مـن أجـل لقمـة العيـش، أو الحصـول عـلىٰ مسـاحة مـن الأرض يعيشـون عليهـا، أو الفـوز بربـح معـين، بمنصـب اجتماعـي مرمـوق، وآخـرون يتنافسـون مـن أجـل الظفـر بالجمال أو المـال...

كلهـم يـرىٰ أن سـعادته تتحقـق في الحصـول عـلىٰ مـا يتنافـس عليـه.

أنت! أين موقعك؟ علىٰ مَ تتنافس؟!

تذكّـر: ﴿إِنَّ الأَبْـرَارَ لَفِـي نَعِيـمٍ * عَـلَىٰ الأَرَائِـكِ يَنْظُـرُونَ * تَعْـرِفُ فِي وُجُوهِهِـمْ نَـضْرَةَ النَّعِيـمِ * يُسْـقَوْنَ مِـنْ رَحِيـقٍ مَخْتُـومٍ * خِتَامُـهُ مِسْـكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَـسِ الْـمُتَنَافِسُونَ﴾. [المطففين: ٢٢ – ٢٥]



الفهرس













